



حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

الرسالة الثالثة عشرة : في الأدب



لورنس ومحفوظ

دراسة أدبية سيكولوجية مقارنة

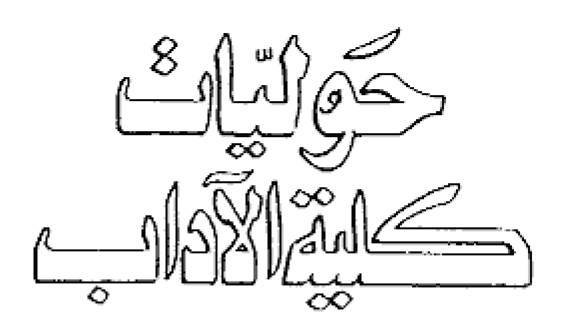
د. محمد رجاء الدريني

قسم اللغة الانجليزية وآدابها - جامعة الكويت

الحولية الثالثة

١٩٨٢ - ٤٠٢


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

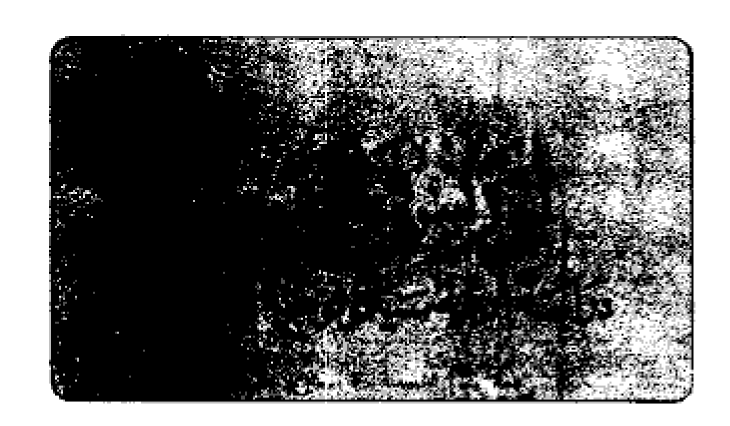
دورية علمية منظمة تتضمن مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا، ومشكلات علمية في مجالات الأدب والفلسفة والتاريخ والاجتماع والجغرافيا وعلم النفس وتمثل معينا علميا للمثقفين العرب.

الحولية الثالثة - الرسالة الثالثة عشرة
١٩٨٢ - ١٤٠٢




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الرسالة الثالثة عشرة





د. محمد رجاء الدريني

قسم اللغة الانجليزية وآدابها - جامعة الكويت

حوليات كلية الآداب - الحولية الثالثة - ١٩٨٢ - ١٤٠٢

نبذة عن المؤلف

د. محمد رجاء عبد الرحمن الدريني

- دكتوراه في الأدب الانجليزي ١٩٧٧
- مدرس الرواية الانجليزية والقصص اليوتوبي

من انتاجه العلمي

- عدد من القصص القصيرة
- رواية عليا (١٩٦٥)
- ترجمة اربع مسرحيات منها:

ـ **الناشرون**، آرثر ميللر (١٩٨٠)

ـ **دنيا زوال**، موسى هارت وجورج كوفمان (١٩٨١)

- ترجمة كتاب **الايديولوجيا واليوتوبيا**، كارل مانهايم (١٩٨٠)

محتوى البحث

	الصفحة
ملخص	٧
تمهيد	٨
العلاقات الأسرية وأثرها على الابناء	١٠
اللاصداء الكلاسيكية	٢٣
أولا : قصة الملك أوديب	٢٣
ثانيا : قصة أورست	
ثالثا : زواج (بلوتو) و (بيرسيفون)	٥٩
رابعا : ميديا زطفلاها	٦١
أصداء أخـــرى	٦٣
الهوامـــش	٦٦
المصـــادر	٦٩
المراجع العربية	
المراجع الاجنبية	
الملخص بالانجليزية	٧٤



بسم الله الرحمن الرحيم

لورنس ومحفوظ

دراسة أدبية سيكولوجية مقارنة

د. محمد رجاء الدريني

هذا البحث دراسة مقارنة لروايتين احداهما انجليزية هي **ابناء وعشاق** التي صدرت عام ١٩١٣ والثانية عربية مصرية هي **السراب** التي نشرت عام ١٩٤٨.

يبين البحث ان الروايتين تلتقيان في المضمون وتعالجان موضوعات واحدة اهمها مضار الزواج غير المتكافىء على العلاقات بين الزوجين وعلى بناء الاسرة في المجتمع الابوى. وتتمثل هذه المضار في قيام الخلاف والخصام بدل الألفة والوئام بين الزوجين، وتَمَزُّق الاسرة الى معسكرين متعادين هما معسكر الأب ومعسكر الأم، ووقوف الابناء بجانب أمهم ضد ابيهم، ونشوء العقدة الاوديبية عند بعضهم في مرحلة الطفولة وتَسَلُّط الام على ابنائها واستبدادها بهم.

و يبين البحث ان الروايتين تصوران مرحلة المراهقة لدى الأ بناء وما قد يحدث فيها من صراع بين الأم وأبنائها، حين يتوق الاولاد الى التحرر والانطلاق، وتقوم الأم بمعارضة هذا النزوع وعرقلته، فينجم عن ذلك نشوء العقدة الأ ورستية لدى الأ بناء وظهور عقدة ميديا لدى الأمهات.

كذلك يعالج البحث الأصداء الكلاسيكية اليونانية التي تتردد في كل من الروايتين، و يركز بصورة خاصة على قصة الملك أوديب، وقصة (أورست) مع أمه (كلايتمنسترا)، وأسطورة زواج (بلوتو) من (بيرسيفون)، وقصة الملكة ميديا مع طفليها. و يعطي البحث ملخصاً لهذه القصص، و يشرح معانيها ومضامينها التي أصبحت كنزاً تغرف منه العلوم النفسية و ينتفع به كتاب الروايات، و يبين انعكاسات هذه المعاني والمضامين في الروايتين موضوع البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

لورنس ومحفوظ

دراسة أدبية سيكولوجية مقارنة

د. محمد رجاء الدريني

هذا البحث دراسة مقارنة لروايتين احداهما انجليزية هي **ابناء وعشاق** التي صدرت عام ١٩١٣ والثانية عربية مصرية هي **السراب** التي نشرت عام ١٩٤٨.

يبين البحث ان الروايتين تلتقيان في المضمون وتعالجان موضوعات واحدة اهمها مضار الزواج غير المتكافىء على العلاقات بين الزوجين وعلى بناء الاسرة في المجتمع الابوى. وتتمثل هذه المضار في قيام الخلاف والخصام بدل الألفة والوئام بيم الزوجين، وتَمَزُّق الاسرة الى معسكرين متعادين هما معسكر الأب ومعسكر الأم، ووقوف الابناء بجانب أمهم ضد ابيهم، ونشوء العقدة الاوديبية عند بعضهم في مرحلة الطفولة وتَسَلُّط الام على ابنائها واستبدادها بهم.

و يبين البحث ان الروايتين تصوران مرحلة المراهقة لدى الأ بناء وما قد يحدث فيها من صراع بين الأم وأبنائها، حين يتوق الاولاد الى التحرر والانطلاق، وتقوم الأم بمعارضة هذا النزوع وعرقلته، فينجم عن ذلك نشوء العقدة الأ ورستية لدى الأ بناء وظهور عقدة ميديا لدى الأمهات.

كذلك يعالج البحث الأصداء الكلاسيكية اليونانية التي تتردد في كل من الروايتين، و يركز بصورة خاصة على قصة الملك أوديب، وقصة (أورست) مع أمه (كلايتمنسترا)، وأسطورة زواج (بلوتو) من (بيرسيفون)، وقصة الملكة ميديا مع طفليها. و يعطي البحث ملخصاً لهذه القصص، و يشرح معانيها ومضامينها التي أصبحت كنزاً تغرف منه العلوم النفسية و ينتفع به كتاب الروايات، و يبين انعكاسات هذه المعاني والمضامين في الروايتين موضوع البحث.

تمهيد

تتناول هذه الدراسة المقارنة رواية انجليزية وأخرى عربية. تحمل الاولى عنوان **ابناء وعشاق** [1]، وقد كتبها (د. هـ. لورنس) ونشرت لاول مرة عام ١٩١٣. أما الثانية فتحمل عنوان **السراب** [2]، وقد كتبها نجيب محفوظ بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤، ونشرت لاول مرة عام ١٩٤٨.

لاحظنا وجود تشابهات كثيرة بين مضمون الرواية الأولى ومضمون الرواية الثانية، وتشابها في المعالجة الفنية للمضمون في كل من الروايتين أقل وضوحاً وأقل لفتاً للنظر. ثم رجعنا للدراسات العربية والانجليزية التي قامت حول روايات هذين الكاتبين، وعلى الاخص حول روايتي **ابناء وعشاق والسراب،** لعلنا نقع على دراسة تفسر هذه الظاهرة وتستقصي ابعادها ومدلولاتها، فلم نحظ بشيء. لم نجد دراسة واحدة جادة تقارن ما بين هاتين الروايتين مضموناً أو شكلا.

ظاهرة التشابه بين هاتين الروايتين، وظاهرة غياب الدراسة التي تعالج اسباب ذلك التشابه ومدلولاته، مهدتا لنا الطريق للقيام بدراسة أدبية سيكولوجية فنية مقارنة، نبين من خلالها أوجه التشابه والتباين، ونتلمس فيها اسباب هذا التشابه أو التباين ومدلولاتهما. و بعد أن قمنا بهذه الدراسة رأينا أن نضعها في بحثين: بحث يتناول مضمون كل من الروايتين وآخر يعالج التكنيك الروائي فيهما.

وفيما يلي نضع بين يدي القاريء الكريم البحث الأول الذي يعالج المضمون في كل من الروايتين من جوانب ثلاثة:

الجانب الأول أدرجناه تحت عنوان **الصراعات الأسرية وأثرها على الأبناء.**

الجانب الثاني اخترنا له عنوان **الاصداء الكلاسيكية.** ذلك أن كلا من الروايتين تمسرح عقداً نفسية ذات أسماء مقتبسة من التراث الأدبي الكلاسيكي اليوناني ومن هنا تصبح دراسة الاصداء الكلاسيكية في كل من الروايتين وسيلة لربط الروايتين بالتراث الكلاسيكي وببعض معطيات علم النفس الحديث.

أما الجانب الثالث فقد وضعناه تحت عنوان **أصداء أخرى،** لأن كلا من الروايتين تعكس تراثاً حضارياً متميزاً من التراث الحضاري الذي تصدر عنه الرواية الأخرى.

(١)

الصراعات الأسرية وأثرها على الابناء

كل من **ابناء وعشاق والسراب** تصور مراحل تطور البطل فيها: ولادته وطفولته وصباه ومراهقته ورجولته. وتعالج بالتفصيل ما قد يعترض تطوره من مشاكل أسرية واجتماعية وبيئية وعقبات مادية ونفسية، كما تتناول بالبحث والدراسة ما قد يعتور هذا التطور من عقد وانحرافات.

وتنتمي الروايتان من حيث موضوعهما الى **قصص السيرة** (Biograpical Novels) وهى كثيرة في الأدب القصصي لدى كل الشعوب .[٣] وهى تختلف عن كتب السيرة [٤] (Biographies) في أنها لا تلتزم وقائع التاريخ بالنسبة للبطل ولأحداث حياته. فليس البطل في قصص السيرة انساناً تاريخياً حقيقياً، بل هو من صنع خيال المؤلف وفكره. أما في كتب السيرة فان المؤلف لا يسجل الا الوقائع التي لها سند رسمي من الحقيقة، ولا يجيز لنفسه أن يخترع أو يلفق من الاحداث والوقائع ما يشاء.

وقصص السيرة نوعان: نوع يروى عن البطل و يشار اليه فيه بضمير الغائب، و يكون الراوي والبطل فيه شخصين مختلفين، وهو ما يسمى رواية السيرة (Biographical Novel) ؛ونوع ثان يتحدث فيه البطل عن نفسه، و يشير فيه الى نفسه بضمير المتكلم و يكون الراوي والبطل فيه شخصاً واحداً، وهو ما يسمى رواية السيرة الذاتية (Autobiographical novel) . **ابناء وعشاق** تنتمي في الظاهر الى النوع الأول. بطلها هو (بول موريل) وراو يها مجهول، لكننا نفترض أنه عليم بحياة البطل وخبير بدقائقها وتفاصيلها. لكنها في حقيقتها، وفي معظمها، رواية سيرة ذاتية للمؤلف (د. هـ. لورنس) نفسه، الذى يختبيء وراء راو ية مجهول ويجعل من نفسه بطلاً روائياً اسمه (بول). ولقد كانت غلالة الفن الروائي التي استخدمها لورنس لاخفاء الاشخاص الحقيقيين الذين تمثلهم شخصيات الرواية

شفافة جداً بحيث تعرف عليهم كل أصدقاء (لورنس) ومعارفه (٥). ولهذا أعلن (لورنس) بعد نشر روايته أن على المهتمين بمعرفة حياته أن «يقرأوا **ابناء وعشاق**، لأن الجزء الأول منها هو كله سيرة ذاتية» (Farr, 1970:2). ولكنه لم يعلن كل الحقيقة، لأن قسماً كبيراً من أحداث الجزء الثاني ومعظم الشخصيات فيه مأخوذة كلها من واقع حياة لورنس.

أما **السراب** فهي رواية سيرة ذاتية صرف. راويها (كامل رؤبة لاظ) هو بطلها. وليس فيها — بقدر ما نعلم — شيء من حياة المؤلف نجيب محفوظ الخاصة سوى أنها من صنع خياله وصياغة افكاره(٦).

تتركز الاضواء في الروايتين على الابن الثاني في الأسرة باعتباره الشخصية الرئيسية. وتهتم كل منهما بالتفاصيل والاحداث ذات المغزى في طفولته، بحيث نرى آثارها وظلالها في مراحل حياته التالية، وبحيث يتبين لنا صدق المقولة المشهورة التي أطلقها (ويرد زويرث): «الطفل أب الرجل» «The child is father of the man». (٧)وقد أكد هذه المقولة بعده كثيرون من المفكرين والفلاسفة، وعلى الأخص سيجموند فرويد الذى أثبت أن مرحلة الطفولة هي أخطر المراحل في حياة الانسان، فيها تنبت جذوره وتُبْذَر بذوره، وكل ما يفعله أو يقوله أو يصدر عنه فيما بعد ليس سوى ثمار لهذه البذور وامتدادات أو تفرعات من تلك الجذور.

والطفل ابن بيئته، يتلون كالحرباء بألوانها ويتناغم مع ظروفها ويستقيم أو ينحرف حسب استقامتها أو انحرافها. والأسرة هي العمود الفقري لبيئة الطفل الاجتماعية ومنها يتعلم الطفل لغة مجتمعه وقيمه وانماطه الفكرية والاخلاقية والسلوكية.

ولأن البيئة الأسرية ذات تأثير حاسم في حياة الطفل ونموه فان كلا من الروايتين تبدأ بتسليط الاضواء على هذه البيئة، وتقرر أنها بيئة أسرية معتلة، وأن جوهر العلة فيها هو عدم التكافؤ بين الزوجين.

أبناء وعشاق تشرح مظاهر عدم التكافؤ هذا بتفصيل كثير ووضوح كبير. فطباع الزوجين على طرفي نقيض، وهذا ناشيء عن التباين في أصولهما الطبقية والثقافية والعرقية والاخلاقية. الزوج (والتر موريل) ينحدر من طبقة عمال المناجم والأم سليلة صغار التجار والموظفين المثقفين. وهو جاهل وأمّي في حين أنها مثقفة ومحبة لمظاهر الثقافة من فن وكتب وفكر. وقد كان جد الزوج من الفرنسيين الذين لجأوا الى انجلترا وكانت جدته من حثالة الانجليزيات (ساقية في احدى الحانات)، وكان زواج جدّيه محاطاً بالشبهات (صفحة ١٧). وقد ورث الزوج عن هذين الجدين حب الضحك والمرح الراقص الصاخب وحب المتع الحسية كالطعام والخمور، كما ورث عنهما روح الاستهتار واللامسؤولية. ودليل ذلك انه كان يستسهل الكذب والغش والمماطلة في سداد ديونه. أما الزوجة فكانت سليلة عائلة انجليزية شديدة التدين كبيرة الطموح، عائلة تبالغ في تقدير المسؤولية وفي التمسك بالاخلاق وفي المحافظة على كبريائها وعزة نفسها (صفحة ١٥ ــ ١٦).

السراب أيضاً تصور مظاهر عدم التكافؤ بين الزوجين، ولكن بايجاز شديد. فالزوج رؤبة لاظ يكبر زوجته بخمسة عشر عاماً، وهو سليل أسرة من الاعيان تملك الثروة المتمثلة في العقارات والاطيان، ومن أصل تركي، وبلا علم ولا عمل، وجاهل جهل العوام، وسكير عربيد، وذو أهواء جامحة (صفحة ١٠). أما الزوجة (زينب) فهي بنت أميرالاي متقاعد (عبد الله بك حسن). وهى امرأة ذات حيوية ومزاج حاد (صفحة ٨). و يبدو أنها صارمة متصلبة كالجنود في مواقفها من الناس، ولا تؤمن بالحلول الوسط. لكنها مثل النساء الشرقيات في زمانها وعصرها و بيئتها، لا تعرف من الدنيا غير بيت أبيها وذو يها، وهى متدينة تدين العوام، وتؤمن بالخرافات وتكثر من زيارة الاضرحة وقبور الصالحين وتتوسل اليهم للمساعدة في تحقيق امنياتها وحل مشاكلها.

واذا كان عدم التكافؤ بين الزوجين هو جوهر العلة في البيئة الأسرية في الروايتين فان مظاهر اعتلال البيئة الأسرية تتشابه ايضاً الى حد كبير. في **ابناء**

وعشاق نجد أسرة منقسمة على نفسها الى قسمين متنافرين متخاصمين: قسم يقف فيه الأب وحده، وحيداً منبوذاً ومهملاً، والقسم الاخر ترأسه الأم وتكوّن فيه مع أولادها عصبة مترابطة متعاونة تتخذ موقف العداء والكراهية نحو الأب. وقد ظل القسمان يعيشان معاً في بيت واحد و يتصارعان صراعاً عنيفاً على مرأى من الاطفال ومسمع، مما ترك في نفوسهم أتعس الذكريات وأسوأ الآثار. أما في **السراب** فإننا نجد أسرة ممزقة الى قسمين تسود بينهما القطيعة الكاملة: قسم يتكون من الأب وطفليه الكبيرين ـــ راضية ومدحت ـــ و يعيش في بيت الأب، وقسم ثان يتكون من الأم وطفلها الاصغر كامل، و يعيش في بيت الجد والد الأم. ولم يكن بين القسمين اتصال من أى نوع. ولم يكن أحدهما يعرف ما يجرى للآخر. وهذا وضع عائلي مغرق في الشذوذ والغرابة، وكان له آثار مدمرة على طفولة كامل ومراحل حياته اللاحقة.

و يؤثر هذا الانقسام في الحالتين تأثيراً هداماً في الزوجين واطفالهما. الزوجة في **ابناء وعشاق** تتخلى عن دورها كزوجة وتكرس كل طاقاتها لدورها كأم، فتضطهد زوجها وتهمله وتتحول عنه بحبها واهتمامها ورعايتها الى ابنائها وتكوّن معهم عصبة واحدة قوية تتجاهل وجود الأب. أما الزوج فلا يبقى له في الأسرة سوى دور هامشي هو إعالة الأسرة وتأمين حاجاتها الأساسية من مأوى ومطعم ومشرب وملبس، وهو دور لم يكن ينال عليه حمداً أو شكراً. انه يصبح غريباً في بيته، فيضيق بهذه الغربة و يلجأ الى الحانات ورفاق الشراب يبدّدُ معهم وحشة الغربة و ينسى برفقتهم برودة الوحدة. وفي **السراب** تقوم الزوجة بدور مشابه. فهي حين تطلق زوجها تقلع نهائياً عن الاهتمام بالحياة الزوجية. بل انها تطرد فكرة الزواج من ذهنها وتكرس نفسها لدور الأمومة. وتستعيض عن الزواج والأزواج بولدها (كامل) وتتخذ منه رفيقاً لوحدتها ومؤنساً لوحشتها. ولو استطاعت أن تستبقي عندها طفليها الآخرين لفعلت، لكن زوجها يأخذهما منها، لا حباً بهما ولكن نكايةً بأمهما ومَنْعاً لها من رؤيتهما. كذلك فان الزوج يلجأ بدوره الى تناسي فشله مع زوجته بواسطة اغراق همومه ووحشة وحدته في الادمان على معاقرة الخمور.

و يبدو أن ظاهرة تخلي المرأة عن الأنوثة والانصراف عنها الى الأمومة قد لفتت نظر المفكرين والكتاب منذ أقدم العصور. فقد زعمت الميثولوجيا اليونانية أن إله السماء (يورانس URANUS) تزوج إلهة الأرض (جايا Gaea) وانجب منها الاله الصغير (كرونوس Kronos). ولما كبر (كرونوس) وتمرد على ابيه وقفت أمه في صفه وعاونته على التغلب على أبيه واغتصاب عرشه وعلى خَصْيِهِ وجعله عاجزاً عن الانجاب. كذلك زعمت هذه الميثولوجيا أن (كرونوس) هذا حين تزوج من اخته (ريا Rhea) خشي أن يفعل به ابناؤه ما فعله هو بأبيه، فراح يبتلع أولاده ويحبسهم في جوفه حال ولادتهم. وضاقت الزوجة ذرعاً بزوجها الذى حرمها من أطفالها، فلجأت الى الحيلة حين ولدت ابنها (زيوس Zeus)، وألقمت زوجها حجراً وأخفت طفلها عند جدته (جايا). وحين كبر (زيوس) ثار على ابيه (كرونوس) وسلبه عرش الألوهية وأرغمه على أن يلفظ من جوفه بقية ابنائه و بناته[٨].

كذلك تزعم الميثولوجيا المصرية القديمة أن (أوزيريس) تزوج من (ايزيس) وانجب منها (حورس). ثم وقع (سيث) أخو الزوج في حب زوجة أخيه فقتل أخاه و بنى بزوجته. وحين بلغ (حورس) مبلغ الرجال انتقم لأ بيه من عمه فقتله، وتحول الى (اوزيريس حورس) ــ أى أنه وقف من أمه موقف الزوج والابن معاً (Kramer 1961: 15 -93). وهناك أساطير مشابهة في الميثولوجيا الفينيقية والبابلية والحثية (Kramer 1961: 94-128) . وفيها جميعاً نرى الأب يقْتَل أو يُنْبَذ و يُهْجَر، ونرى الأم والابن يقيمان بينهما علاقة حميمة قائمة على المحبة والتعاون بلا حدود.

كذلك يمكن ملاحظة هذه الظاهرة لدى الحشرات والحيوانات. فملكة النحل تغري الذكور بالاقتران بها وتلقيحها وإخصابها، و بعد ذلك تطلقهم وتسلط عليهم ابناءها وجنودها من النحل العامل الذى يوسع الذكور تجو يعاً ولسعاً حتى يموتوا. كذلك تظل أنثى العنكبوت تتزين للذكر حتى تغو يه وتغريه، فاذا ما استجاب لها وارتمى بين احضانها أطبقت عليه بذراعيها تستحرثه نفسها حتى

يخصبها ولا ترخي ذراعيها عنه الا بعد أن يكون قد أدى واجبه البيولوجي ولفظ معه انفاسه. كذلك فان عفريت الجنس يركب اناث القطط والكلاب في فصل الاخصاب و يصيبها بالهوس والجنون، ويجعلها تعاف الشراب والطعام والراحة والمنام حتى يتيسر لها قرين من الذكور يطفىء نيران شهوتها ويخصبها، حتى اذا حملت منه انصرفت عنه وأهملته وتجاهلته وكأنها ولم تره ولم تعرفه.

ومن مظاهر اعتلال البيئة الأسرية في روايتَيْ **ابناء وعشاق والسراب** أن الأم في كل منهما ترتبط بابنائها بعلاقة عاطفية أقوى مما تتطلبه أو تحتمله تجيزه طبيعة الحياة في الأسرة الابوية السليمة (Healthy Patriachal Family). ففي ظل هذا النمط الأسرى يختص كل من الأ بو ين بدور يتفق مع تكوينه الفيزيولوجي والنفسي والفكري. دور الأب هنا يتضمن اعالة الأسرة وحماية افرادها من المخاطر واشعارهم بالأمن والطمأنينة وتدريبهم على التعامل مع العالم الخارجي حسب أسس اجتماعية معينة وأنماط سلوكية وفكرية محددة. أما الأم فتقوم بالحمل والولادة والارضاع واشباع حاجات النشء الى الحب والرعاية والعطف والحنان واشباع خيالاتهم بالقصص والأساطير. لكن حين تقوم الأم باهمال الأب واحتقاره، وتعوّد الابناء على الاعتماد عليها واللجوء اليها، وتزيد العلاقات بينها و بينهم قوة والتحاماً بحيث يعجز كل منهما، حين تقضى سنة الحياة بذلك، عن الانفصال والاستقلال عن الآخر، فان العلاقة بين الأم وأولادها تصبح علاقة مريضة. وهذه العلاقة تصبح بدورها تر بة صالحة لنشوء العقد النفسية.

والعقد النفسية لا تنشأ في الابن وحده، بل هى قد تنشأ في الأم والابن على حد سواء. فالابن قد يصبح بالنسبة لأمه الابن والعشيق معاً، وتصبح سكينتها وهدوء بالها وطمأنينة نفسها معتمدة عليه اعتماداً مطلقاً، و يصبح حبه لها غذاء لروحها واعتماده عليها مبرراً لاستمرارها في الوجود. ولهذا فانها تحرص — ربما دون أن تشعر — على أن يكون حبه وقفاً عليها وحدها وأن يظل يتوجّه برغباته وحاجاته اليها. و يصبح كل شيء عندها هيناً ومقبولاً الا انصرافه عنها

وفراقه لها. وربما تفضل مثل هذه الام المريضة بحب ابنها أن تموت ويموت ابنها معها على أن تنتزعه منها امرأة اخرى، بل انها قد تفضل أن تراه صريعاً بين يديها على أن تحظى به امرأة أخرى غيرها. وهذا شبيه بما فعلته (ميديا) مع طفليها حين ايقنت انهما سيؤخذان منها. ولهذا نسمي هذا الموقف المريض لدى الأم عقدة ميديا.(٩)

واننا لنلمح مثل هذا الموقف عند السيدة موريل في **ابناء وعشاق** كما نلمحه عند أم كامل في **السراب**. فكل منهما تتشبث بولدها تشبثاً عنيداً حتى تكاد تدمره وتحطم حياته. ومن النقاد من يتهم السيدة موريل بأنها قتلت ولدها (وليم) وكادت تقتل ولدها (بول).(١٠) كذلك يعتقد كامل في **السراب** أنه أهون على أمه أن تراه متألماً من أن تراه محباً لامرأة اخرى، و يقول في نفسه متغيظاً: «ربما كان الضرر يقع بي أخف لديها من كشف حبي» (ص ٧٥).

هذه العلاقة المريضة بين الأم و ولدها تصيب الابن ايضاً بعقدة من نوع آخر هي العقدة الأوديبية. (١١) ذلك أن الأم تصبح بالنسبة لولدها قلبه وعقله، وارادته وسعادته وأمه ومعشوقته، ولهذا فهو لا يطيق لها فراقاً، كما لا يطيق رؤية منافس له على الفوز بحبها ورضاها ولو كان هذا المنافس أباه. ومن هنا تنشأ كراهية الطفل لأبيه ورغبته في أن يتخلص من وجوده بأية طريقة. هذه العقدة الأوديبية تصيب (بول) بطل **ابناء وعشاق** كما تصيب كامل بطل **السراب**. كلاهما يحب أمه حباً مفرطاً و يلتصق بها التصاقاً غريباً و يغار من ابيه غيرة شديدة و يكرهه كرهاً عميقاً. مرات عديدة نقرأ في **ابناء وعشاق** أن (بول) يكره أباه و يتمنى موته (ص ٧٩، ٨١، ٨٧، ١٤٣ وغيرها)، وكامل يفعل الشيء نفسه في **السراب**.

العقد النفسية التى تنشأ لدى الأم و ولدها حين يكون الولد طفلا وتكون العلاقات الزوجية معتلة ومنحرفة، تهدد بتسميم حياة الأم وتهديم حياة الولد حين يتجاوز هذا الولد مرحلة الطفولة و يدخل مرحلة المراهقة. هنا يتحتم أن تتخلخل

العقد النفسية وتُحَلّ حلاً سوياً لكى تنعم الام وولدها باستمرار الانسجام والوئام . ولكى يتم هذا في هدوء يتوجب على الام ان تتفهم حقائق المراهقة ومضامينها، وأن تروض نفسها على تقبلها في هدوء وان تيسّر على ولدها الاستجابة لنزوعه الى الاستقلال والاعتماد على النفس واثبات الوجود، وان تساعده على تجاوز محنة الفطام العاطفي كما ساعدته من قبل على التغلب على محنة الفطام عن الرضاعة. عليها أن تحجب عنه حنانها بالتدريج وأن تلجم نزوعها الى الاستمرار في حضانته ورعايته وكأنه لا يزال طفلا. كذلك يتوجب على الابن أن يتعرف على الحدود التي تنتهي عندها حقوق أمه عليه وتقف عندها واجباته نحوها، وأن يتفهم هذه الحدود و يتقبلها بشجاعة و يلتزم بها في حزم. عليه أن يتعلم ماله وما عليه وما لأمه وما عليها وأن لا يسمح لهذه الأمور أن تتداخل وتتشابك وتختلط. ان هذا التشابك والاختلاط يؤدى الى ارتباك وفوضى وتشو يش في العلاقات بين الأم وولدها و يصيب حياة الا ثنين بسرطان عاطفي خطيرقد يحوّل المحبة الى كراهية فيدفع الأم الى اتهام ولدها بالعقوق والجحود والنكران والدعاء عليه بالفشل والتعاسة، كما قد يدفع الولد الى اتهام أمه بالانانية العمياء والتسلط الاستبدادي البغيض، وقد يهون على الولد حينذاك أن يولى أمه ظهره و يهملها و ينساها ما بقى من عمره حتى تموت مهزومة مقهورة.

مظاهر المراهقة ومضامينها كثيرة ومعقدة، وأهم مضامين مرحلة المراهقة هو أنها مرحلة اعداد الانسان للقيام بوظيفته البيولوجية التناسلية. وهذا يستدعى أن يبحث المراهق عن رفيق من الجنس الاخر يشترك معه في صنع حياة جديدة. وهذا يعنى ان يميل الولد الى انثى غير أمه وأن تميل البنت الى ذكر غير ابيها. بكلمات اخرى، المراهقة هي بداية ابتعاد وافتراق بين المراهق وأبو يه. ولكنه ليس ابتعاداً بالجسد فقط، بل هو ابتعاد بالعاطفة والفكر والاهتمامات ايضاً. وهذا يقض مضاجع الأب أو الأم التي تكون قد رتبت أمورها على أساس أن يظل ولدها حبيس احضانها ورهن اشارتها طيلة الحياة، كما أنه يقلق الا بن الذي يكون قد تعود على اعتبار أمه الأساس ومركز الثقل في حياته. هذا الأساس

الوهمي لدى الأم أو الابن ينهار بالتدريج تحت ضربات المراهقة المتتالية، و يسبب انهياره آلاماً مبرحة لكل الاطراف، ولا سيما حين يصر أحد الطرفين على التشبث بهذا الاساس الوهمي.

من هذا المنطلق نجد أن التشبث بهذا الأساس الوهمي للعلاقة بين الابن ووالديه هو أحد الأسباب الجوهرية للمآسي التى تتحدث عنها الروائع الأدبية العالمية. المآسي التي نراها في مسرحية شكسبيربعنوان **الملك لير،** مثلا، تنجم عن عوامل كثيرة من أهمها حماقة الملك المتمثلة في إصراره على أن يكون حب بناته له طاغياً على كل حب آخر. يسأل بناته الثلاثة عن مقدار حبهن له فتزعم له ابنتاه الكبرى والوسطى أنهما تحبانه حب الطفل لأ بيه، حباً أكبر من حب الحياة نفسها، فيسره هذا الملق الخادع والنفاق الكاذب. أما ابنته الصغري التى ترى الأمور كما هى في واقع الحياة، وترفض الكذب والمخادعة، فتجيب عن سؤاله بالشكل التالي:

ياوالدي الكريم
لقد أنجبتني، وربيتني، وأحببتني،
وانني أرد لك هذه الافضال كما ينبغي أن تُرَدّ،
فأطيعك، وأحبك، وأحرص على شرفك وكرامتك.
لماذا تتخذ كلٌ من أختيّ زوجاً اذا كانت، كما تزعم،
تحبك الحب كله؟ وحين يُكْتَب لي أن أتزوج
فان السيد الذى اتعهد له بالحب كزوجة
لابد أن ينال نصف حبي ورعايتي وحناني.

(الفصل الاول، المشهد الاول، الاسطر ٩٧ ــ ١٠٤)

ولقد كان جواب (كورديليا) لأ بيها وصفاً صادقاً للحقيقة والواقع ولكن الملك ليرلا يحب هذه الحقيقة التى تحطم الوهم، ولهذا فانه يستشيط غضباً على ابنته التى كان يؤثرها بحب شديد، فيتبرأ منها، و يلعنها، ويحرمها من حقها في

الميراث. كانت خطيئة (كورديليا) أنها أدركت، بفكرها السليم، حدود حقوق ابيها عليها وحدود واجباتها تجاهه، والتزمت هذه الحدود في صدق واخلاص. أما الملك فقد صدمه هذا الصدق وفجعته هذه الواقعية، وتشبث بأحلامه وأوهامه، ورفض في عناد أن يفتح عقله لتفهم وقائع الحياة كما رفض قلبه تقبل هذه الوقائع. ولهذا ظلم نفسه وظلم كثيرين غيره ودفعهم دفعاً الى التنكر له والتخلي عنه. لسنا ننكر بالطبع أن الملك لير كان في آخر الأمر مظلوماً أكثر منه ظالماً، ولكن ما نرغب أن نؤكده هو أن تعلق الملك لير بالأوهام وضع في طريق الحياة المحتوم كثيراً من العقبات والمصاعب مما عاد عليه وعلى الآخرين بالكثير من الألم والأسى والفجيعة.

كذلك فان المشكلة التى تخلقها الام حين يكبر ابنها و يتوجه بحبه الى امرأة أخرى تذكرنا باسطورة (فينوس) مع ولدها (كيوبيد) وحبيبته (سايكي Psyche) أو النفس. في هذه الأسطورة تحاول (فينوس) أن تحول دون لقاء (سايكي) ب (كيوبيد) واقترانها به. تضع في طريقها العراقيل تلو العراقيل، ولا تتوقف عن محاولة منع الزواج بينهما الا بعد أن تتدخل الآلهة وتصدر لـ (فينوس) امراً بالموافقة على زواج ابنها من الفتاة التي يحبها (Hamilton, 1961:92-100).

في **أبناء وعشاق** وفي **السراب** نجد المشكلة نفسها تثيرها الأم. (جرترود موريل) لا تعترف أن ابنها (بول) كبر ونضج جنسياً وأصبح بحاجة الى امرأة يحبها و يتزوجها ويجد بجانبها السكينة و يبادلها المودة والرحمة. وحين يقع (بول) في حب (مريم) فان أمه تناصبها وتناصبه العداء، فتنكّد عليه عيشه وتعكّر صفو حياته حتى تضطره الى قطع علاقته مع مريم. وحين يتجه (بول) بحبه الى (كلارا) تدرك أمه أن (كلارا) لن تنجح في الاستحواذ عليه ولهذا فانها تتخذ من حب ابنها الجديد موقفاً محايداً الى حد ما في انتظار أن يملّ ولدها هذه العلاقة المجدبة و يعود الى احضانها هى وحبها هى.

و يبلغ تشبث السيدة موريل بولدها (بول) حداً يجعلها تتحدى الشيخوخة

والمرض وترفض الاستسلام للموت. تمرض بالسرطان وتصبح قعيدة الفراش فيقطع (بول) كل علاقاته بالنساء الأخريات و يتفرغ للعناية بها، يمرّضها و يطعمها و يسرّح لها شعرها فتبرق عيناها بالسرور والسعادة. يتنبأ الاطباء بموتها بعد أيام فتكذّب تنبؤاتهم وتعيش أشهراً. يزورها القسيس و يبشرها بقرب لقاء أحبتها من الأموات فتقول له بحدة: «لقد استغنيت عنهم منذ أمد طويل وأستطيع أن أستغني عنهم الآن. إنني أرغب في صحبة الأحبة الأحياء وليس الأموات» (ص ٤٧١) . تشبثها هذا بالحياة مع الأحبة الأحياء يدفع ابنها (بول) الى حافة الجنون. كانت تقرأ في عينيه رغبته في موتها وتعهدا منه أن يموت معها (ص ٤٧٧) ومع ذلك لم تستسلم للموت، مما دفع ابنها (بول) الى أن يقتلها قتلا، فيُقْدِم عل زيادة جرعة الدواء المخدر الذى كان يعطيه لها زيادة قاتلة (ص ٤٧٨ — ٤٧٩).

الموقف نفسه تتخذه أم كامل في **السراب** . يبلغ ابنها مبلغ الرجال وتصر أن تعامله وكأنه لايزال طفلاً. تظل تنام معه في سرير واحد حتى يبلغ السادسة والعشرين من عمره. وحين اشترى لنفسه سريراً منفصلاً وضعه في الغرفة ذاتها التي تنام فيها أمه.

وحين شكا لها شعوره بالوحدة وهو في الخامسة والعشرين عتبت عليه احساسه بهذا الشعور وقالت له مستنكرة: «كيف تقول هذا وأمك على قيد الحياة ؟» (ص ٥٧). تجاهلت تماماً حاجته الى امرأة غيرها. بل انها راحت تعادي كل من يذكرها بهذه الحقيقة، ومن ذلك أنها أغلظت القول لأختها وطردت الخاطبة من بيتها حين أشارت كل منهما الى حاجة كامل لزوجة. بل أن أم كامل راحت تتغزل بجمال ولدها وفتنته، وتتزين له وتصلح هندامها من أجله. ظلت تنفره من النساء الأخريات وتدفعه عن التفكير بالزواج حتى يئس من إمكان فهمها لحاجاته ولجأ الى الحانات و بؤر الساقطات . وحين تزوج آخر الأمر رغماً عنها ظل خيالها يطارده في فراش الزوجية حتى أفسد عليه زواجه، وظلت تكيد لزوجته وتوغر صدره عليها حتى كاد يجن. وحين مرضت جعلت مرضها وسيلة لابتزاز ولدها (كامل) وإرغامه على زيادة حبه لها وعنايته بها. وقد وقر في

ذهن كامل أن الحياة لن تصفو لأمه إلا إذا ماتت زوجته، ولهذا فانه حين تموت زوجته وتقدم له أمه المريضة العزاء ينفجر في وجهها انفجاراً مروعاً، فيتهمها بالشماتة والكذب والنفاق، و يسمعها من الكلام القاسي والجارح ما يقتلها في الليلة ذاتها.

واذا كانت متاعب الولدين المراهقين (بول) وكامل مع أميهما تذكرنا بمتاعب (كورديليا) مع أبيها الملك لير ومتاعب (كيوبيد) وحبيبته (النفس) مع أمه (فينوس) فان مأساة أم (بول) وموتها مقتولة بيد ولدها، ومأساة أم كامل وموتها مطعونة بالكلمات المسمومة التي صبها كامل في مسامعها تذكراننا بقصة الملكة (كلايتمنسترا (Clytemnestra) التي قتلها ولدها (اورست Orestes) [١٢] وبقصة الملكة (جرترود: Gertrude) التي قتلها ولدها هاملت. ان قتل الأم في هذه القصص كلها لم يأت مصادفة ولم يتم فجاءة. ولو كان الامر كذلك لما كانت هناك مأساة. ان الموت في حد ذاته ليس مأساة. ولكن حين يقتلنا من نمنحهم الحياة فتلك هى المأساة. أما تمييز الظالم من المظلوم فذلك أحجيه قد لا يصل احد الى جواب لها مقنع كل الاقناع. ولكن هذا لا يجوز أن يعيقنا عن المحاولة.

ان الحياة العضوية مراحل تتلاحق في نظام ثابت محتوم، شأن الانسان في ذلك لايختلف عن شأن الحيوان أو النبات. ولكن يختلف الانسان في قضايا أساسية معينة. فهو مثلا الوحيد بين مخلوقات الله الذي يحاول التمرد على سنة الحياة وقاموسها. قاموس الحياة يرسم للانسان مسيرة واضحة المعالم والمراحل: فهو يبدأ من التراب نطفة ثم علقه ثم جنينا فوليدا فرضيعا فطفلا فصبيا فمراهقا فشابا ثم ينحدر بعد الشباب الى الهرم والشيخوخة والعجز والموت. و يعود تراباً. ومن لا يخضع لهذا التسلسل طوعاً، يخضع له آخر الأمر راغماً. ومع ذلك فان الناس عموماً يحاولون التمرد. الطفل يستعجل الأ يام و يود لو يطوى السنين طياً لكى يبلغ الشباب. والشاب يحاول أن يوقف سير الأ يام وتلاحق السنين لكي يطيل عمر شبابه و يعيق زحف الشيخوخة اليه.

ولو كان هذا التمرد على سنة الحياة شأناً خاصاً بالفرد نفسه، فيسعد وحده أو يتعس وحده، لهان الأمر. ولكن المتمرد يورط نفسه في صراع خاسر فيصيب بالأذى نفسه وغيره. وقد أقامت البشرية امبراطوريات صناعية ضخمة لتخدم تمرد الانسان على طبيعته وسنة حياته. صناعات الاصباغ والمساحيق والعطور والملابس، وصناعات الأدوية، وصناعات الادوات الرياضية وغير ذلك، كلها تحاول مساعدة الانسان على مخادعة الأيام وعلى التحايل على سنة الحياة. وفي كل هذا إنما يظلم الانسان نفسه، فيخدع نفسه و يعيش على الوهم، و يكون عبداً لهواه.ولكنه يظلم غيره أيضاً. الأب الذى يرفض ان يعترف أن ابنته قد كبرت وأن من حقها وطبعها أن تحب غيره كما تحبه هو، إنما هو أب ظالم. وهذا هو شأن الأم التي تنكر حق ولدها في حب امرأة أخرى وحق تلك المرأة الأخرى في ولدها. ومن ناحية أخرى، فان الولد (أو البنت) حين يتنازل عن حقه الطبيعي لكي يرضي نزوة غير طبيعية عند أحد والديه يكون ظالماً لنفسه وعبداً مظلوماً لوالده. وهذا وضع خاطىء للوالد والولد معاً. والخطأ لا يمكن أن يدوم. في آخر الأمر لا يصح إلا الصحيح.

والصحيح في علاقات الأبوين بابنائهما حين يكبرون هو أن يتنازل كل من الأبوين عن دور الأبوة التى تعني التملك والسيطرة وحق التوجيه والأملاء، وان يعطي ولده حرية التصرف في كل شؤونه الخاصة. والصحيح أيضاً أن يتمسك الولد بحريته لا يتنازل عنها، ولكن في رفق ولين ومودة. وحين يصر الوالد على الاستمرار في السيطرة فانه يدفع الولد دفعاً الى التمرد الخشن العنيف. ذلك أن الحياة حركة لا تقبل السكون، وتغير لا يعرف التوقف. وإذا حاول أحد أن يفرض السكون على الحركة، أو أن يوقف التغير والتطور، أو أن يلغى الموت ويخلّد الحياة، أو أن يمنع الأبناء والبنات عن أن يصبحوا أزواجاً وزوجات وآباء وأمهات، فانه بهذه المحاولة يعتدى على قانون الطبيعة، و يقف عائقاً في طريق الحياة المحتوم، ويخدع نفسه عن حقائق الأمور، ويحكم على نفسه بالهزيمة والآلام، ويحول أبناءه وبناته الى أعداء وخصوم، و يورط نفسه وأبناءه في مأساة أليمة شاملة. وهذا ما فعلته أم كامل في **السراب** والسيدة موريل في **أبناء وعشاق.**

(٢)

الاصداء الكلاسيكية

أوضحنا في القسم الأول أن **ابناء وعشاق والسراب** تعالجان موضوع الزواج غير المتكافىء وما قد ينجم عنه من علاقات زوجية مختلة وبيئة أسرية معتلة، وشرحنا الآثار السيئة لهذا الاعتلال وذلك الاختلال على نمو الأبناء، ولاسيما في مرحلة الطفولة (مرحلة نشوء العقد النفسية وتثبيتها) ومرحلة المراهقة (مرحلة خلخلة العقد النفسية). ومما هو جدير بالذكر أن معالجة كل من الروايتين لهذه الأمور تردد اصداء كثيرة من الأدب اليوناني القديم. وفيما يلي سندرس بعض هذه الأصداء الكلاسيكية بشيء من التوسع، ولاسيما قصة الملك أوديب، وقصة (اورست) مع أمه (كلايتمنسترا)، وقصة زواج (بلوتو Pluto) إله الموت من (بيرسيفون Persephone)، وقصة (ميديا) مع طفليها.

أولا: قصة الملك أوديب:

لدى تحليل هذه القصة نجد أن المأساة فيها منسوجة من العناصر التالية التي يسهم كل منها بنصيب في خلق التعاسة والبؤس.

أ ـ زواج غير متكافىء: عدم التكافؤ هنا متمثل في الفارق بين عمري الزوجين، وهما الملك (لايوس Laius) والملكة (جوكاستا: (Jocasta) . ان نص مسرحية **أوديب الملك** لا يشير الى هذا الفارق صراحة، ولكن القرائن تؤكده. وأول هذه القرائن أن الملك والملكة لا ينجبان أي طفل بعد التخلص من وليدهما (أوديب) وذلك رغم أنهما يعيشان معاً فترة لا تقل عن عشرين عاماً. وفي عصر لم تتوفر فيه وسائل منع الحمل لا يبقى من تفسير لعدم الانجاب إلا عقم الزوج الناجم عن شيخوخته. أما الملكة فالدليل على صغر سنها وخصوبتها هو أنها بعد أن يموت زوجها وتقترن بزوج في شرخ الشباب (يتبين فيما بعد أنه ابنها أوديب) تنجب منه اثنين من البنين واثنتين من البنات.

وقد أشرنا فيما سبق الى عدم التكافؤ بين الزوجين ومظاهره في كل من **ابناء وعشاق والسراب.** (ص ٣).

ب ــ اهمال الزوج واستبداله بالولد:

تبقى الزوجة مهتمة بزوجها طالما ظل قادراً على إشباع غريزتي الجنس والأمومة فيها. وقد ظل اهتمام جوكاستا بزوجها قائماً حين كان قادراً على معاشرتها وحين كان لديها أمل في ان يزرع في رحمها حياة جديدة. ولكن يبدو أن أملها هذا قد خاب بعد عشرين سنة من المعاشرة الجنسية المجدبة، ولهذا زهدت في زوجها وجاء موته المفاجىء في ظروف غامضة مخرجاً سعيداً لها من هذه العلاقة الزوجية العقيمة. ودليل ذلك أنها لم تبذل جهداً يذكر في سبيل الكشف عن قاتله. كذلك فانها سارعت الى الارتماء في أحضان زوج غريب شاب لتروي منه انوثتها العطشى وتحيي معه أمومتها الثكلى، ولم تقم بمحاولة جادة للتعرف على أصل هذا الزوج الشاب الغريب الذى رمته الأقدار في طريقها.

ان سرعة نسيان جوكاستا لزوجها الأول لا تدل فقط على زهدها به، بل وتشير أيضاً الى أنها كانت تتمنى موته. كذلك فان سرعة قبولها للزوج الشاب الغريب الذى كان صغر سنه واضحاً وكانت حالته تستدر العطف (فقد كان رغم صغر سنه يغامر بحياته حين واجه الوحش الاسطوري الذي كان يحاصر المدينة، وهذا يدل على أنه كان تعيساً يائساً من الحياة زاهداً فيها) تشير الى انها لم تحتضنه كزوج فحسب. أغلب الظن أنه استدر فيها عطف الأمومة، وانها كانت تحتضن فيه ايضاً الولد الذى ثكلته. ومن هنا فانه كان بالنسبة لها ابناً وعشيقاً.

السيدة موريل في **أبناء وعشاق** تقوم بتصرفات مشابهة. فهي تصبر على زوجها حتى تستنجبه أطفالها ثم تهمله إهمالا لا يعرف الرحمة أو الهوادة. يصبح اسمه في البيت «المزعج» أو «وجه النكد» (The nuisance) (ص ٥٢). و يصبح الرجل وحيداً وغريباً في بيته. و يصف لورنس هذا الوضع بقوله: «وهكذا طرد [الاب] من كل شؤون الاسرة. لم يحدّثه احد بشيء. وحين كان

الاطفال ينفردون بأمهم، كانوا يقصون عليها كل ما يحدث لهم في يومهم — كل شيء ... ولكن حالما يدخل أبوهم البيت، كانوا يلوذون بالصمت و يتوقف كل شيء.... وكان دائماً يشعر بهذا الصمت الذى يلف البيت حين يدلف اليه، هذا الهمود لحركة الحياة، هذا الطرد ...» (ص ٨١) و بإهمالها واحتقارها لزوجها حطمت السيدة موريل زوجها معنوياً وهدمته جسدياً. فقد الرجل طعم الحياة وعزت عليه نفسه ففقد وداعته وطيبته وتحول الى حيوان بدائي شرس داخل بيته (ص ٨١)، كما فقد جسده حيويته وترهل وهرم قبل أوانه (ص ٢٤٢ — ٢٤٣).[١٣]

ولا تكتفي السيدة موريل بالتخلى عن زوجها، بل تتخذ أبناءها عشاقاً لها وتعقد معهم حلفاً عدوانياً ضده، وتوغر صدورهم عليه وتحرضهم على كراهيته. إنها تفعل ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، و بشكل شعوري أولا شعوري. فتارة تستدر عطف ابنائها إذ تصور نفسها ضحية مظلومة وتصور الأب طاغية متوحشاً ظالماً وتحمله مسؤولية تعاستها الزوجية. تصفه بأنه «وجه النكد» و «المشاغب» و «الكاذب» و «السكير» على مسمع منه ومن أولادها. تستفزه بالسخرية منه حتى تفقده صوابه فيشتمها و يطردها من البيت على مرأى من الأطفال (ص ٣٣)، أو يرمى دُرْج الملاعق والشوك والسكاكين فتتطاير هذه في أرجاء الغرفة و يصيب الدرج جبينها ويجرح جفنها و يدميها (ص٥٣)، أو يتصرف بحمق وسخف يقلل من قيمته ويحط من قدره كما فعل حين غادر البيت مهدداً أن لايعود أبداً ثم عاد ممرغ الكبرياء فاقد الكرامة (ص٥٨ــ٦٠). بل ان صَغَار شأنه لدى أولاده يصل الى درجة أغرتهم بالتجرؤ على التهديد بضربه وتأديبه كما فعل (وليم) (ص٧٦ــ٧٧) وكما فعل (بول) (ص ٢٦٣).

أما أم كامل في **السراب** فانها تهجر زوجها وتَفِرّ الى بيت أبيها بعد أسبوعين من زواجها. و بعد سنة تقريباً تُعاد الى بيت زوجها مع طفلتها (راضية) فلا تطيق البقاء معه أكثر من شهرين تَفِرّ بعدهما الى بيت أبيها حاملة الطفلة على

يديها والجنين في احشائها. و بعد ثمان سنوات تُرَدّ الى بيت زوجها مع طفليها (راضية ومدحت) فلا تقيم معه سوى اسبوعين تهجره بعدهما هجراً أبدياً بعد أن تحمل منه طفلها الثالث.

ولنا على هذه العلاقة الزوجية ملاحظات. أولها: أن هذه العلاقة لم تَرْقَ قط الى مرتبة الزواج، بل ظلت أقرب الى العلاقة الجنسية الغريزية التي تقوم في مواسم الاخصاب بين الحيوانات، حيث يلتقي الذكر بالانثى، ويخصبها، ثم يذهب كل منهما في سبيله لا يهتم بالآخر ولا يأبه له.

الملاحظة الثانية هى أن الزوج (رؤبة لاظ) لم يطرد زوجته من بيته، بل هى التى فرت من بيته بارادتها. ومع ذلك كان الزوج «يوالي ارسال النفقة لوليديه على استهتاره وعربدته» (ص١٢)، وحاول أن يقنع زوجته وحماه بأنه «من الممكن أن تستقيم الحياة الزوجية مع ادمان الشراب» (ص١١، ١٣). هذا بالاضافة الى أن الزوجة وأباها كانا يعلمان، قبل الاتفاق على الزواج، بأن (رؤبة لاظ) «شاب ذو أهواء جامحة وأنه سكير عربيد» وأنه «جاهل جهل العوام» وأنه بلا عمل. بل ان أب الزوجة نفسه «لم يكن يخلو من ميل الى الشراب والمقامرة». فما معنى أن يورد الراوى (كامل) كل هذه الحقائق؟ مَنْ الظالم وَمَنْ المظلوم في هذه العلاقة بين أبويه؟ لماذا يستنكر أبو الزوجة هذه الصفات في الزوج بعد الزواج وقد قَبِل بها قبل الزواج؟ ولماذا تستنكرها الزوجة بعد أن أخصبها زوجها ولم تعترض عليها قبل الزواج؟ ولماذا لا تستنكر هذه الصفات نفسها في أبيها وتستنكرها في زوجها؟.

الجواب المرجح لهذه الأسئلة كلها هو أن الزوجة وأباها لم يكونا — في أعماقهما — راغبين في الزواج بقدر ما كانا راغبين في استنجاب ابناء (للزوجة) وأحفاد (لأبيها) بشكل شرعي ومن أسرة غنية ومشهورة، بحيث يطمئن ابو الزوجة أن ابنته لن تكون، حين يموت عنها، وحيدة، بل ستكون في رعاية أبنائها. بكلمات أخرى، إنهما اعتبرا الزواج علاقة جنسية غريزية ذات وظيفة بيولوجية

واقتصادية أكثر منه علاقة اجتماعية وإنسانية. بعبارة أخرى، كان الزواج بالنسبة للامير الاى عبد الله بك حسن بوليصة تأمين تضمن لابنته، من بعده، حياة رخية، وتضمن للبنت، الى جانب ذلك، اشباعاً لغريزة الامومة فيها. أما الزوج، فلم يُحْسَب له حساب يذكر. فقد قُبِل زوجاً رغم عيوبه التي شُرِحَتْ دونما لبس، وهُجِرَ بسبب هذه العيوب ذاتها.

وما يحصل للزوج (والترموريل) في **أبناء وعشاق،** يحصل للزوج (رؤبة لاظ) في السراب. فهو يتحطم معنوياً و يستسلم لأهوائه الجامحه وخيالاته المريضة وأفكاره المنحرفة حتى يورط نفسه في محاولة فاشلة لاغتيال أبيه واستعجال حظه من الميراث ويخرج من هذه المحاولة الخرقاء محروماً من الميراث ملعوناً من أبيه والناس. كذلك فإنه يلجأ الى إدمان الخمر هرباً وتأسياً وسلواناً. كذلك فانه يتهدم جسدياً إذ تذوى زهرة شبابه وتختفى وسامته، و يكتنز جسمه و يترهل، و يشتد احتقان الدم في وجهه الممتلىء. باختصار، إنه يصبح منفراً مظهراً ومخبراً.

كذلك فان تجربته الزوجية المؤلمة تجعله يتخذ من المرأة ومن الزواج موقفاً سلبياً ساخراً يقطر بالمرارة. الزواج في نظره «داء و بيل» فيه وحده «الدليل الناطق على جنون الانسان» (ص ١٠٦). و يقول (رؤبة) لولده (كامل) حين جاء هذا يطلب منه مالا يستعين به على الزواج:

> أكرر عليك النصيحة بألا تتزوج على الاطلاق. هذه نصيحة رجل مجرب. الزواج سخرة. تصور أن امرأة تملكك ودع ما يقال من انك الذى تملكها فهو كذب سمج، تنهك قواك وتسلبك مالك وتستبد بحريتك ثم تستدرجك لاستعباد روحك وما تملك لرعاية شخصها وأبنائها فاذا مِتّ سعت الى رجل غيرك قبل أن تجف دموعها، الزواج شيء سخيف لم أحتمله اكثر من ليلة واحدة. (ص ١٠٨).

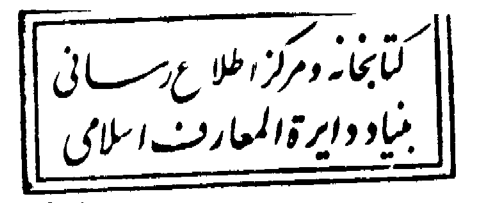
ومثل السيدة موريل في **أبناء وعشاق،** لم تكتف أم كامل في **السراب** بطرد زوجها من حياتها بعد أن استنجبته ابناءها، بل اتخذت من اصغر ولديها عشيقاً لها وحرضته على كراهية أبيه. راحت كلما ذكرت هذا الأب تصفه بـ

«المجنون»، و «الشرير» و «السكير» و «الملعون» و «الشيطان» . ولم تكن تملّ من تذكير ولدها بأن أباه هو سبب العذاب والتعاسة. (١٤)وصفت له كيف اهملها أبوه بعد أسبوع من الزواج وكيف كان يأتيها في أواخر الليل سكراناً فيوسعها شتماً وضرباً، وكيف قسا عليها حين طلقها وأخذ منها طفليها وحرمهما من رؤيتها. لهذا كله يمزق كامل، في طفولته، صورة أبيه (ص ٩)، و يشعر وهو في سن السابعة عشرة بكراهية لأ بيه ونفور من مقابلته (ص ٤٧ ــ ٥٣)، و يتمنى، حين يبلغ سن الرشد و يواجه شبح الفقر، أن يموت أبوه لكي يرثه (ص ٩٧، ١٠٨). بل ان كامل، في زيارته الاخيرة لأ بيه، يهدد أباه بالقتل (ص ١١٧). وعندما يموت أبوه، يشعر كامل بالارتياح بدل الحزن (ص ١٢٢).

ج ــ معاندة الأم للاقدار واستبدادها بالابناء:

حين تتحول المرأة من زوجة الى أم، وتنجح في طرد زوجها من دائرة الاضواء في شؤون أسرتها، تنزلق، دون أن تشعر بذلك أو تدركه، الى العبث بمصائر ابنائها عبثاً خفياً خطيراً. تستبد بهم استبداد العاشقة بعشيقها. توقعهم أسرى شباكها العاطفية. تربطهم بنفسها ربطاً محكماً لافكاك منه فلا يعودون يرون الا ما ترى ولا يحبون الا ما تحب ولا يكرهون الا ما تكره. تبتز عواطفهم وتستهلك كل مشاعرهم حتى يفلسوا من أية عاطفة يمنحونها لغيرها من النساء. تحبسهم في قلعة أمومتها وتعلي من حولهم الاسوار وتحكم اغلاق الابواب حتى يستحيل على أية فتاة أن تقتحم أبواب هذه القلعة أو جدرانها لتنفذ الى قلوب الأ بناء، كما يستعصى على الأ بناء أن يفلتوا من هذا الأسر دون جراح والآم وعذاب.

كان هذا مصير (أوديب) و (بول) و (كامل) . أصبح كل منهم اسيراً لعواطف أمه، عبداً لرغباتها وخداما لنزواتها. ما تراه هي حقاً وجميلا أو باطلا وقبيحاً يصبح عندهم الحق والجميل أو الباطل والقبيح. يتخلون لها عن حقهم في التفرد والانفصال والاستقلال وَهُمْ صغار وتمتنع هي أن ترد لهم هذا الحق وَهُمْ



كبار. بل انها تأبى أن تعترف لهم بأنهم أصبحوا كباراً وتُصِرّ مهما كبروا على اعتبارهم صغاراً.

معاندة الاقدار تعني أن يحاول الانسان أن يكون سيد نفسه، وأن يحاول تخطيط مسيرة حياته ورسم مصيره بنفسه وحسب افكاره ورغباته الخاصة. ومن هنا ينشأ ميل الانسان لأن يتحايل على الاقدار، بأن يطّلع على الغيب ويحاول تغييره حسب هواه. ومحاولة الاطلاع على الغيب ميل فطري يتميز به الانسان من سائر المخلوقات. ومن هنا أيضا ظهرت الى الوجود منذ اقدم العصور فئات تستغل هذا الميل الفطري وتتاجر به، ومنها العرافون والمنجمون وقراء الطالع وقراء الكف.

جوكاستا استعانت بالعرافين فقالوا لها ولزوجها أن وليدهما سيقتل أباه و يتزوج امه. فقررت مع زوجها أن يقتلا هذا الوليد و يغيرا مسيرة الاقدار. وكان قرارهما معاندة للقدر وتحديا للآلهة واستبداداً غاشماً بالوليد. السيدة موريل وأم كامل تتحديان مسيرة الاقدار حين تحاولان تثبيت ابنيهما في مرحلة الطفولة. ولكن قدر الانسان وسُنّةَ نموه وتطوره وتغيره تقضى ان يكبر الصغار و يشيخ الكبار وتتبدل الادوار. الفردوس الذى تعيشه الأم مع ابنائها، سيدة محبوبة مطاعة، يجتاحه آخر الأمر اعصار و يصيبه با لخلخلة والدوار.

حين يبلغ الصغار سن المراهقة تجتاحهم تغيرات جسمية مصحوبة باضطرابات عاطفية وخلخلات فكرية تحطم فردوس الأم وتغتال طمأنينة الابناء وسكينتهم . يتغير لون الاشياء وطعم الحياة و يصبح من الضروري، لكى تستقيم الأمور، أن يعاد النظر في كل شيء وأن تعاد صياغة العلاقات مع النفس والناس والاشياء.

التغيرات والتطورات والاضطرابات التى تصيب المراهق تشبه الوباء الفتاك الذى اجتاح الجسم الاجتماعي لمدينة (طيبة) فحطم ما فيها من ازدهار وقصف الاعمار وبات كل شيء على حافة الدمار. وقد طُلِب من اوديب، بوصفه

الملك والرأس المدبر، أن يعالج هذه الغمة حتى يستقيم حال الأمة،وحين بحث عن أصل الداء وطبيعة الدواء جاءه الجواب بضرورة البحث عن قاتل الملك السابق واخضاعه للعقاب اللائق. وحين جدّ اوديب في تلبية المطلوب اكتشف أنه هو نفسه القاتل، وانه فوق ذلك زان وآثم، وأنه مكتوب عليه أن يكون الخصم والحكم، وأنه لكي تستقيم الامور لابد أن يوقع على نفسه العقاب الصارم مهما تعددت المغارم.

الأزمة التي ابْتُلِيَ بها أوديب تصيب كل مراهق. فان التغيرات والاضطرابات التي يتعرض لها تبدل سكينته قلقاً وأمنه خوفاً، وتبين له أنه لابد من احداث تغييرات جوهرية في مواقفه وعلاقاته بحيث تذهب العلة و يتحقق التوازن و يتموضع كل شيء في وضعه الطبيعي الصحيح. يجد المراهق نفسه في صراع مع نفسه. عقله في صراع مع قلبه، وروحه في صراع مع جسده، وماضيه في صراع مع حاضره ومستقبله، وواقعه في صراع مع أحلامه وأمانيه، ودينه في صراع مع دنياه. و يكتشف أنه ما من احد يستطيع أن ينهي هذه الصراعات إلا هو نفسه. فهو عدوّ نفسه وهو طبيب نفسه. هو الخصم وهو الحكم وفيه تلتقى الاضداد والمتناقضات. يكتشف انه ما لم تصطلح فيه المتناقضات فلن يعود طفلا خالصا ولن يصبح رجلا خالصاً، بل سيظل مراهقاً ممزقاً ومرهقاً، وأنه لابد من عبور جسر المراهقة الى مرحلة النضج والرجولة والاستقرار وإلا فان العذاب مقيم لا يتزحزح ولا يريم.

فى هذه المرحلة تقف الأم موقف المعارضة لأى تغيير. انها ترى التغيرات الفسيولوجية في جسم ولدها فيسرها ذلك و يسعدها. ولكنها لا ترى التغيرات العاطفية والفكرية والنفسية لأنها لا تحب أن تراها، ولا ترضى عن مضامينها واتجاهاتها.

الملكة جوكاستا والسيدة موريل وأم كامل تلعب كل منهن دور الآلهة الصغيرة التى تريد أن ترسم قدرها وأقدار أولادها بنفسها، وتنسى أو تتناسى أن

الأقدار إنما ترسمها يد أعلى من أية يد بشرية وقوة أعلى من أى إنسان. كل منهن تريد حبيباً لا تغيره الأيام ولا يغير عليه الزمن، فإن أغار عليه الزمن أو غيرته الايام استبدلته بحبيب من صنع رحمها وحبسته في قمقم من نسيج أحلامها وصناعة أوهامها.

وربما كان تفسير ذلك أن الام ــ وهى التي تصنع الحياة ــ لا تفهم حقيقة الحياة نفسها. وذلك أن بدء الحياة ليس الا بداية التغير والسعي الى الموت، بل هو بداية الموت نفسها . ان ما لا يحيا ومن لا يحيا لا يموت. ومع أن الأم تصنع الحياة وتلدها فانها في الوقت ذاته تصنع الموت وتلده. وهذه حقيقة مُرّة لا تستسيغها المرأة ولا تسلم بها ولا تستسلم لها بسهولة. ومن هنا كان تعلقها بالاوهام والسراب حين تحاول تثبيت ابنائها في مرحلة الطفولة ومرحلة الاعتماد عليها في كل صغيرة وكبيرة. فاذا رأت فيهم ميلا الى الاستقلال والاستغناء والانفصال عنها أحزنها ذلك اشد الحزن وقاومته اعنف المقاومة. و يزداد حزنها شدة وتزداد مقاومتها عنفاً اذا استبدل منها ولدها امرأة أخرى. وطالما بقى لديها أمل في استمرار الحب المتبادل بينها و بين أبنائها وفي استمرار اعتمادهم عليها واستنادهم اليها فانها تتشبث بالحياة ولا تستسلم للموت. وربما كان هذا مصدر تجاهل الأم لحقائق الزمن. إنها لا تريد أن تصدق أن السنوات تتعاقب فيكبر الصغير و يشيخ الكبير بل توهم نفسها أنها تظل شباباً خالداً لكى يظل ابناؤها طفولة دائمة.

فهذه أم كامل تستغرب أن يكون ابنها قد بلغ الثامنة والعشرين .تقول له بعد أن تند عنها ضحكة هستيرية:

«اسمعوا ياهوه، كامل يبدو انه كبر..وأنا؟ !! لابد انى عشت اكثر مما ينبغى!» فتأوهت قائلا: أماه انك تحزنينني . «فتجيبه»: ... ولكنك تتقول على نفسك بالباطل وتزعم انك كبرت. يالك من طفل مكابر!.. (ص ١٣٣)

وتلك جوكاستا تشارك في محاولة قتل وليدها كى لا تحل عليها اللعنة لأن

العرافين قالوا أنه سيقتل زوجها (أباه) و يتزوجها هى. ولكن الوليد ينجو و يكبر و يشبّ و يقتل اباه و يتزوجها دون ان يدرى أحد حقيقة ما حصل. ثم تدرك من سياق البحث عن قاتل زوجها الأول أن اللعنة قد حلت عليها، وأنها إنما تعاشر ولدها الذى هو الآن زوجها، ومع ذلك فانها تبدى استعداداً متحدياً لأن تكتم السر وتستمر في اللعبة الآثمة، وتحاول ان تمنع زوجها من الاستمرار في البحث كيلا يعرف ما عرفته هى (أي أنه ابنها وزوجها في آن واحد).

جوكاستا : باالله عليك لا تفعل . اذا كنت تريد ان تعيش أوقف هذا البحث . ألا يكفيني ما عانيت؟
أوديب : لا تخافي شيئاً . حتى ولو ثبت أني سليل العبيد حتى الجيل الثالث . فلن يضيرك هذا في شيء.
جوكاستا : ومع ذلك أوقف هذا البحث . أتوسل اليك أن تكف عنه.
أوديب : لا بد أن أستمر. لا استطيع أن أظل جاهلا بالحقيقة.
جوكاستا : أعرف أني على صواب. إنما أحذرك لمصلحتك.
أوديب : لطالما خوفتني باسم مصلحتي.
جوكاستا : مكتوب عليك الشقاء اذن. ليتك تموت قبل أن تعرف الحقيقة.
(**الملك أوديب**، الاسطر ١٠٥٩ ــ ١٠٦٨)

وفي **أبناء وعشاق** نرى السيدة موريل تقوم بمحاولات متكررة لمنع ولدها (بول) من الانعتاق من اسرها والانطلاق الى نساء غيرها. لكن كراهيتها لهذه النزعة التحررية في ولدها تتجه الى مريم وتتركز عليها، و يسأل (بول) أمه وهو متألم أشد الالم: «لماذا لا تحبينها ياأمي!»فتجيبه بلهجة تثير الشفقة:«لا أدرى ياولدى. ثق أنني حاولت أن أحبها . حاولت وحاولت وحاولت، ولكني لا أستطيع، لا أستطيع!» واحس (بول) بكآبة عميقة و يأس محزن (صفحة ٢٣٨) . و بعد ذلك يعود (بول) متأخراً بعد أن كان في مشوار مع مريم، ويجد نفسه متورطاً

في مشاجرة عنيفة مع أمه. تسأله أمه ما الذى يجذبه في مريم؟ ويجيب أنه يميل اليها و يناقش معها أموراً تتعلق بالفن والكتب والدين. وتسأله أمه لماذا لا يناقش هذه الأمور معها هى، أمه؟ فيجيب بحدة بأنها ــ أي أمه ــ لا تبدي اهتماماً بهذه الأمور، وهذا أمر مألوف في سنها. و يؤكد لأمه أن هذا الأمر ليس جوهر القضية عندها. وتعترف أمه بذلك بأسلوب يقطع القلب وتقول بصوت باك وهى تطوق عنق ولدها بذراعيها وتلقي برأسها على كتفه: «لا أستطيع أن أحتملها. من الممكن ان أسمح بك لامراة أخرى ــ لكن ليس لها. إنها لن تبقي لي مكاناً في قلبك، لن تبقي لي شيئاً منك ...» وفي الحال يشعر (بول) بكراهية مُرّة لمريم (صفحة ٢٦٠ ــ ٢٦٢).

وفي **السراب** تضرب أم كامل طوقاً حديدياً حول ولدها لتخنق فيه نزوعه الى التحرر من سلطانها وسيطرتها. في الرابعة من عمره يستأذن أمه في اللعب مع اترابه الصغار فتقول له: « ماذا حدث لعقلك ؟ ألا ترى انهم لا يكفون عن العراك؟...ماذا تفيد منهم إلا الشقاوة وقلة الأدب؟ ... إذا كنت تحبني حقاً فلا تفارقني »(صفحة ١٨).وحين تزورها أختها (مع أولادها الستة و بنتها ــ وكلهم أطفال مثله) وتقضى معها شهراً يجد كامل متنفساً في اللعب مع أبناء خالته. ولكن أمه تضيق بأختها وأولادها وتفرح بانتهاء زيارتهم لها، وتقول لولدها: «كفاك لعباً وجرياً في الشارع، ثب الى رشدك وعد إلّي لا تفارقني ولا أفارقك» (صفحة ٢٠).

وتنال الأم بغيتها و يبقى كامل أسير الشرنقة التي نسجتها حوله. ومع أن جسده ينمو إلا أن عقله لا ينمو إلا نمواً بطيئاً متعثراً بحيث لا ينال الشهادة الابتدائية إلا في سن السابعة عشرة ولا ينال الشهادة الثانو ية إلا بعد بلوغه الخامسة والعشرين، ثم لا يقضى في كلية الحقوق اكثر من شهرين حتى يقطع دراسته و يسلم بعجزه، و يقنع بالحصول على وظيفة صغيرة في وزارة الحربية. خلال هذا كله لم يستيقظ فيه اى حب للاستطلاع، فهو جاهل «بالدنيا وما فيها، فلا زمان ولا مكان، ولا سياسة ولا رياضة، حتى المدينة الكبيرة التى ولدت

وعشت فيها لا أعرف منها إلا شارعين، وكأنني أعيش في جحر بمفازة!»(صفحة ٧٠). أما من الناحية العاطفية فهو يعيش نرجسية طفولية تغذيها أمه، فتنقضي سنوات عمره في «أنانية مطلقة قضت علّي بعزلة لا يؤنسها صديق أو رفيق» (صفحة٧٠). وهولا يدرك هذه الحقائق عن نفسه إلا حين يشعر بالسخط على نفسه وبالتبرم بحاله و يثور به نزوع (أوديبي) «نحوتأديب النفس ومعاقبتها، واتخذ ذلك النزوع صورة حملة هجائية على نفسي، فواجهت نقائصي في تسليم واعتراف لاول مرة» (صفحة ٧٠). كذلك فان قلبه تعلق فجأة بفتاة النافذة في العمارة البرتقالية اللون الواقعة أمام محطة الترام مباشرة . هذا الحب العارم الصامت المفاجىء يفتح عينيه على تفاهة حياته، و يزيد إحساسه بالضيق و يولد فيه من القلق مالا يطيق و يصيبه بالسهوم والشرود والوجوم. وتلاحظ أمه ذلك عليه فتقول بحزن وأسف: «لماذا تبدو أحياناً كالحزين؟ ... لعمرى ماذا ينقصك؟ أردتَ أن تكون موظفاً فكنت، ومتعك الله بعطف جدك ...، وفي خدمتك أم لو استوهبتها حياتها لوهبتك إياها عن طيب خاطر، و بين يديك الشباب والصحة ..فماذا ينقصك؟»و يعلق كامل : «عجبت كيف تتساءل عما ينقصني.ولكني لا أنفك عن التفكير فيما ينقصنى فيعمينى ما أتطلع إليه عما انعم به. اني شخص لم يقدر له أن يعرف شيئاً عن حكمة الحياة، فلم يخرج قط عن دائرة نفسه الضيقة، وفي ذلك سِرّ دائي» (صفحة ٧٩). ولهذا راح يتمرد على أمه.

د. تمرد الأ بناء على الأمهات:

التمرد عند أوديب يأخذ شكل البحث الدؤوب العنيد عن الذات وعن الحقيقة حتى يصل هذا البحث الى غايته. في ساعة الكشف والتجلي (revelation) يصمد أوديب للكارثة التى لم تكن تراها عيناه رغم قربها منه، و يشرب مرارة الحقيقة في رضا وتسليم. تمزقت الحجب و بانت الحقائق. سقطت الأستار وهُتِكَتْ الأسرار. فُضِحَ الزيف وهوت الأحلام وتحطمت الأوهام وتساقطت خداعات النفس. كان أوديب يبدو في نظر نفسه ونظر الناس شجاعاً مقداماً فاذا شجاعته طيش وإقدامه تهور صبياني. وكان عاقلا حكيماً فاذا به

ضال مغفل. وكان زوجاً وفيا مخلصاً فاذا به قاتل لأ بيه وفاسق بأمه. وكان أبا باراً فاذا به طاغية متجبر وسلطان مستبد. وكان صديقاً ودوداً فاذا به طفل أناني. وكان محباً للحق فاذا به عبد لهوى نفسه الذي يرفض الاعتراف بالواقع. اكتشف في يوم واحد أنه كان ضحية الاقدار، لكنه أدرك أن الاقدار ليست قوى فوقية خارجية بل هي كامنة فينا وتعمل من خلالنا، وأنه لا يجوز للانسان أن يتنصل من مسؤولية ما يفعل و يكتفي بالقاء اللوم على الأقدار. إن قدر الانسان كامن فيه، فان أخطأ فعليه أن يتقبل العقاب وإلا حلت عليه لعنة الآلهة. في لحظة الامتحان العسير نجا أدو يب من اللعنة حين استسلم للعقاب وكفر عن ذنوبه بالألم والعذاب. أما جوكاستا فعاشت أوهامها وتعلقت بالسراب حتى النهاية. في لحظة الامتحان هربت من العقاب والعذاب والتكفير. الى الموت السريع بالانتحار.

أما التمرد على الأم **في أبناء وعشاق وفي السراب** فيتخذ شكل خذلان الأم وإرغامها بالتدرج البطيء على التسليم بواقع الأمور والاستسلام لطبيعة الحياة. الصغير يكبر والكبير يشيخ و يهرم. الأم العاقلة الطبيعية تسمح لهذه الحقائق أن تفرض نفسها بسهولة ودون مقاومة. لكن السيدة موريل والسيدة زينب عبد الله حسن لا تريدان الاعتراف بهذه الحقائق، ولهذا يتمرد الا بن على أمه. وبما أن التمرد مؤلم لكل الأطراف، فانه يكون تمرداً متردداً يتتالى فيه الاقدام والاحجام مرات ومرات.

في ابناء وعشاق يتصارع (وليم) مع نفسه ومع أمه ليحرر نفسه من سلطانها على عواطفه ومواقفه وافكاره. انها تنتقد أصدقاءه وصديقاته وأسلوبه في الملبس والانفاق وقضاء أوقات فراغه . وهو يضيق بهذا أيما ضيق. تأتي احدى صديقاته الى بيته تسأل عنه فتسخر أمه منها وتطردها طرداً جارحاً. و يعاتب (وليم) أمه فتعنفه وتُسَفِّه رأيه (صفحة ٧٠ و ٧١ و ٧٤) . ولهذا حين تُعْرَض على (وليم) وظيفة في لندن بعيداً عن أهله وأمه، يقبل هذه الوظيفة بسعادة غامرة

بحجة أنها ستفتح له أبواب النجاح والثراء.ولكن ما كان يسعده أكثر هو أن العيش في لندن يبعده عن أمه التي تعدّ عليه خطواته وتفسد خططه. وفي لندن يفقد (وليم) توازنه ولا يحسن استعمال حريته. يغلب هواه على عقله فيبذّر دخله على توافه الامور، ويحب فتاة طائشة تافهة، و يعدها بالزواج، ثم يضيق بها و يعجز عن التخلص منها. و يشكو حاله لأمه فلا يجد عندها غير الشماتة والسلبية، فتضيق الحياة في وجهه و يستسلم لمشاعر العجز والتعاسة واليأس ويموت بسرعة خاطفة. وتستسلم أمه للحزن على فَقْدِه حتى تكاد تصاب بلوثة في عقلها، ولا يوقظها من غفلتها الا المرض والسقم الذى يحل بابنها الثاني (بول) و يعيد اليها صحتها وعقلها.

بعد تجربتها القاسية مع ابنها الأول، تقرر السيدة موريل أن تحتفظ بابنها الثاني بكل ما أوتيت من قوة، ولا تعود تسمح لنفسها باتخاذ مواقف سلبية شامتة تجاهه. ولهذا تواجه محاولات تمرده عليها واستقلاله عنها بعين ساهرة يقظة وإرادة لا تلين. حين يحاول استبدالها بمحبوبته مريم تقف له بالمرصاد وتخضعه لحساب عسير كل يوم وكل ليلة، وتضعه آخر الأمر أمام خيارين لا ثالث لهما ــ إما أن يختار أمه أو يختار مريم. فيتخلى آخر الأمر عن مريم.

ولكنه لا يفعل ذلك ارضاء لأمه فحسب، بل لأن مريم نفسها صورة من أمه. فهي بطبعها ونتيجة لتأثير أمها المتدينة تتخذ من غريزة الجنس موقفاً سلبياً. وهذا يجعل (بول) رغم حبه لها وحبها له، يترفع تلقائياً عن التفكير بأى تصرف جنسي معها. لقد استمرت علاقتهما سبع سنوات، وكانت خلال ذلك علاقة عذرية، فلا قبلات ولا عناق ولا احتضان. كانت علاقتهما روحية فكرية عاطفية خالصة وبالمعنى التجريدي لهذه الأمور. كان يلقاها ساعات طويلة معظم الايام فيتحدثان في الأدب والدين والفن والعلوم، و يتأملان جمال الطبيعة وسحر الغروب وفتنة القمر، ولا يفعلان شيئاً غير ذلك. وكانا سعيدين بهذا سعادة بالغة لا يعكرها سوى عتاب أمه المتكرر وانتقاداتها الساخرة ونَقْرها الدائم.

وظنت مريم ان علاقته معها وارتباطه بها اقوى من أن تقطعهما أمه رغم حبه لأمه وتعلقه بها. اما (بول) فكان يحس بين الفينة والاخرى ان علاقته بمريم ينقصها دفء الوصال الجسدى الذي يُعْطَى و يُؤخَذ بعفوية فرحة وتلقائية طبيعية. كان يقول لها ان علاقتهما لا يمكن أن تنتهي الى زواج موفق لان الزواج لكي يكون موفقاً لابد أن يأخذ الجسد والشهوة والعقل والروح والقلب كلها بالحسبان وعلى قدم المساواة. وكان يحدثها بهذا بصراحة جارحة وتتقبل حديثه بحيرة صامتة. وقد حاولت ذات مرة أن تمنحه جسدها لتثبت له أن حبها له لا يتوقف عند شيء، لكنها في اللحظة الحاسمة لم تستطع ان تقدم له سوى جسم جميل بارد خال من اى شهوة، وكأنها تقدمه له قرباناً و بدافع الواجب، وليس بدافع الرغبة العفوية المتبادلة . ولهذا قتلت فيه كل شهوة وأصابته باحباط عنيف.

بكلمات أخرى، كانت مريم، مثل مريم العذراء، تُحَبّ دون أن تُشْتَهى. كانت بديلا لأمه. فى علاقته بها ما فى علاقته بأمه من حرارة وحب ومودة واحترام، ولكنها علاقة تغذي روحه وعقله وفنه وفكره فقط، وتترك جسده ذئباً جائعاً. كذلك فان (بول) لمح في مريم ما عرفه في أمه من حب للتملك والسيطرة، ولهذا كان يخافها و يكرهها كما يخاف أمه و يكرهها. أما أمه فانه كان مربوطاً اليها بالفطرة ربطاً لا خيار له فيه. كانت قَدَراً لا مَفَرّ منه، قَدَراً محببا ولا شك، ولكنْ فيه عبودية ورق يضيق بهما المرء من حين لآخر، و يود لو يفر منهما. أما مريم، فلو ارتبط بها فسيكون الارتباط باختياره، وهو لا يريد أن يختار رابطة يشوبها شيء من رق أو عبودية. ولهذا، ولكي يتخلص من الآلام التى كان يعانيها من تمزقه بين أمه ومريم، قرر أن يتخلى عن مريم وأن يتفرغ لحب أمه. كان حبه لأمه أعمق جذوراً وتأثيرها عليه أقوى سلطاناً.

في ساعات حيرتها وخوفها من فقدان (بول) كانت مريم تظن أن الثغرة الأساسية في علاقته بها تكمن في اشباع الذئب الجائع في جسده. ولما كانت مريم بطبعها تخشى هذا الذئب وتخافه، وخصوصاً قبل الزواج، فانها تخيلت أنها لو ساعدت (بول) على اشباع غريزته مع امرأة أخرى، فانه ــ بعد ان يسكت عواء

الذئب فيه ــ سيعود اليها راضياً مطمئناً. لهذا عرّفته بصديقتها (كلارا)، وراحت ترقب ما سيحدث.

كانت (كلارا) امرأة مطلقة تكبره بستة أعوام. كان في الخامسة والعشرين وكانت في الحادية والثلاثين، وكانت تتمتع بجمال بهيمي فيه إغراء وتمرد وتحد. كانت ذات أنوثة فياضة تخفيها خلف قناع من الزهد في الرجال والاحتقار لهم. وقد فتنته أنوثتها وأغراه تحدّيها فوجد نفسه يجند كل ما لديه من ذكاء ودهاء ودماثة وفن ورجولة لكي يروّض تمردها ويخترق قناعها الشفاف الى ثمارها اليانعة المترعة. ونجح. ترددت وتمنعت وتريثت أول الأمر، ثم تدفقت عليه بكل جوارحها حباً وعشقاً و وصلا حتى تخم. قضى معها فترات رَيّا بالسعادة الصافية. لم تقف له أمه هذه المرة بالمرصاد. غضت الطرف. أدركت ببصيرتها الثاقبة أن ابنها لن يتزوج هذه المرأة رغم أنوثتها الفواحة وجمالها الفتان، وأنه سرعان ما سيملّها و يفترق عنها و يعود الى احضان أمه أكثر هدوءاً وأرضى نفساً.

وقد صدق حدس أمه. انهارت علاقة (بول) مع (كلارا). فهي لم تتعد حدود العلاقة البهيمية. ادركت (كلارا) انه لم يكن يأتيها لشخصها كلها، بل للمرأة الشبقة المغرية فيها فقط، حتى اذا شبع ذئبه منها نسيها. كذلك ادركت (كلارا) أنه لم يكن يأتيها بشخصه كله، بل كان يأتيها منه الذئب الجائع فقط، وأحيانا كان يأتيها منه الفتى الحائر القلق الذى لا يعرف ما يريد لينام على صدرها وفي حضنها نومة الطفل الخائف في حضن أمه. أما (بول) الانسان، الفنان، المفكر، الطموح، فانه كان غائباً في لقاءاتهما.

ولم يكن حال (بول) مع (كلارا) أفضل من حاله مع مريم. كان هناك أمر، وربما أمور ناقصة. لهذا كان تمرده على أمه فاشلا. وقد ادرك بول أن أمه ظلمته، وأنه بدوره ظلم النساء اللائي أحببنه. يقول لأمه: «أظن أن ثمة عيباً فيّ أنا.... اني لا أرغب في الزواج من أي منهما. كل منهما تريدني زوجاً... ولكني لا استطيع أبداً أن أعطي نفسي لاي منهما». وتقول أمه : «أما بالنسبة

للزواج، فان أمامك متسعاً من الوقت. إنك لم تلتق بعد بالمرأة المناسبة» . فيقول : «ولن أقابلها مادمتِ أنت على قيد الحياة». وأخلدَتْ هي للهدوء. بدأت الآن تشعر أنها متعبة جداً، وكأنها قد قُضِيَ عليها وانتهت» (صفحة ٤٢٦ ــ ٤٢٧).

وتقع السيدة موريل فريسة لمرض السرطان. و يتخلى بول عن تمرده ونسائه مرة واحدة، و يتفرغ للعناية بأمه، وتدليلها، وتمريضها وإطعامها، وتسريح شعرها. وكانت تستسلم لولدها وكأنها معشوقة بين يدي عشيقها، تضحك وتزقزق بالسعادة. ومع أن المرض هدها وأقعدها وأكل جسمها أكلاً إلا أنها لم تفكر بالموت. قال الاطباء انها ستموت في أسبوع فعاشت أشهراً. مات جسمها أو كاد، لكن عينيها ظلتا يقظتين مثبتتين على (بول) أينما ذهب. وكان قلب (بول) يتفطر ألماً وحباً ورعباً. انها ترفض أن تموت. كان كل ما فيها قد مات، إلا عينيها وإرادتها. و يتفق بول مع اخته (آني) على أن يقتل هذه الأم التى تتحدى الموت. وقد فعل، رحمة بها !! و بنفسه. زاد جرعة المورفين التى كان يعطيها لها، فنامت نومة ابدية (صفحات ٤٧٨ ــ ٤٨٤) . ولكنها حتى بعد موتها ظلت حية معه، تعذبه بحبها وذكراها حتى كاد يجن و ينتحر. وعاش كالمنبوذ فترة من العقاب والتكفير، عاف خلالها عمله وفنه ونساءه، كما عاف الحياة والناس، وتمنى لو يلحق بها في دنيا الموت والعدم. لكنه في اللحظة الاخيرة قرر أن يعود للحياة والنور، وأن يتحرر من عقدة الذنب وسلطان الأم.

التمرد نفسه يتكرر مع كامل بطل **السراب** ، رغم اختلاف الطباع والمفاهيم، ورغم اختلاف التفاصيل. لكن تمرد كامل على أمه يبدأ في وقت أكثر بكوراً، و يسير في اتجاهات أكثر تعدداً. وسبب ذلك واضح، وهو أن السجن الذى حُبس فيه كامل كان سجناً مادياً ملموساً وأن الضيق بهذا السجن بدأ عنده في الطفولة، بينما لم يشعر بول أنه أسير سيطرة أمه وحبها إلا حين بدأ مرحلة المراهقة. كذلك فان وسائل أم كامل لوقف نمو ولدها عند مرحلة الطفولة تختلف عن وسائل السيدة موريل لوقف النمو العاطفي لولدها.

ذلك أن أم كامل استعملت الأرهاب والتخويف لمنع كامل من الاختلاط بالناس عموماً ــ صغاراً وكباراً، أقارب وغرباء، حتى جعلت الخوف من الناس ــ كل الناس ــ طبيعة راسخة في ولدها. بل إنها وَسّعَتْ ميدان مخاوفه ليشمل كل مكان وكل زمان لا تكون هي فيه . في طفولته ملأت أذنه «بقصص العفاريت والأشباح والأرواح والجان والقتلة واللصوص. «جعلت الخوف جوهراً أصيلاً في نفسي .. أخاف الناس وأخاف الحيوان والحشرات، ... والظلام ... وهيهات أن أنام في حجرة بمفردي» (ص ١٦). بل انه لم يكن ينام في سرير بمفرده، وظل ينام مع أمه في سرير واحد حتى بلغ السادسة والعشرين من عمره (صفحة ٧٥).

حنان أم كامل كان كحنان اناث القرود اللواتي يقتلن أطفالهن بين أحضانهن من فرط المحبة. يقول كامل «لم أدرك إلا بعد فوات الوقت أنه كان حناناً شاذاً قد جاوز حده، ومن الحنان ما يهلك» (صفحة ١٥).

سجن بهذا الضيق لابد أن يولد الرغبة في التحرر في وقت مبكر جداً. في طفولته ضاق كامل بسجنه في أحايين كثيرة، وتطلع الى الحرية والانطلاق (صفحة ١٦). بعد سن الرابعة كان يلح في طلب السماح في اللعب مع أترابه فتلح أمه في الاصرار على الرفض. يقول: «كنت إذا ضقت باصرارها بكيت أو ثار بي الغضب ثورة لاأعف فيها عن شدّ شعري وتمزيق ثيابي، ولكن شيئاً لم يكن ليجعلها تذعن لرغبتي في الابتعاد عنها» (صفحة ١٨).

وقد ألف كامل هذا السجن الانفرادي طويلا حتى أنه حين ذهب الى المدارس وحين خرج الى الحياة وعمل موظفاً عجز عن الانسجام مع الآخرين. طيلة عمره في الرواية لم يتخذ رفيقاً أو صديقاً، وفشل في كل علاقاته الاجتماعية والانسانية.

الانسان الذي يعيش طفولته ومراهقته وصدر شبابه سجيناً حقيقياً لا

يستطيع أن يتمرد إلا كما يتمرد السجناء ــ خفية وسراً. لهذا اتخذ تمرد كامل أشكالا منحرفة وملتوية . في سن الثالثة عشرة تعرف إلى معنى العلاقات الجنسية والنكاح والانجاب ــ وهي كلها مواضيع أثارها في ذهنه زواج أخته وحبلها وانجابها طفلة ــ عن طريق الخادمة لأن أمه وأخته وأخاه رفضوا أن يوضحوا له هذه المعميات. مارس الجنس سراً مع هذه الخادمة، وضبطتهما أمه متلبسين، فطردت الخادمة، ووبخته وهددته بعقاب الله وعذاب جهنم. ومن هنا وقر في ذهنه أن الزواج والجنس أمران مترادفان ومعيبان (ص ٣٧).

لكنه عندما راهق اكتشف ــ وحده ــ العادة السرية وأدمن عليها . ولم يتخيل نفسه يمارس الجنس الا مع الخادمات الدميمات. ويُرْجِع غالى شكرى هذه اللوثة في خياله وحياته لتجربته الاولى مع الخادمة الدميمة التي طردتها أمه من البيت، لكنها كانت أعجز من أن تطردها من تخيلاته وأفكاره (شكرى ، ١٩٦٩: ٣١).

وبعد ذلك لم يمر يوم على كامل دون أن يتمرد بشكل أو بآخر على السجون المادية والعاطفية والدينية والاخلاقية التى حبسته أمه خلف جدرانها. تعددت أشكال التمرد لكن الجوهر كان واحداً، وهو محاولة القفز فوق الاسوار والتحرر من الأسر. عرف الى جانب العادة السرية أحلام اليقظة. يقول: «انه سجن مفتوح الأبواب ولكن لا سبيل الى تجاوز عتبته ولم أجد من متنفس غير الاحلام.. كنت أمكث في الفصل غائباً عما حولي وخيالي يصنع المعجزات، يحارب ويقتل ويقهر ... الخ» (صفحة ٤٢ ــ ٤٣).

وقد أورثه الادمان على العادة السرية شعوراً دائماً بالذنب. وحين قيل له أن الله موجود في كل مكان وزمان ولا تخفى عليه خافية أحس بخوف مروع الى جانب احساسه بالذنب، وفكر بالانتحار وعزم عليه ثم تخاذل عنه وفشل في تنفيذه (صفحة ٤٣ ــ ٤٦).

ولما كانت عقلية أمه ضيقة الابعاد متزمتة الحدود عمد الى كتمان همومه

ولـواعـج قـلـبه عنها، ولجأ الى الاستعانة بالمجلات يستشيرها في موضوع حبه وهموم قلبه (صفحة ٦٦ و ٧٨).

وقـد تـفجر وعيه بأزمته وتعاظم تبرمه بحاله وسخطه على أمه حين بدأ قلبه يتعلق بفتاة النافذة وألحت عليه خواطره بأن سعادته وصلاح حاله مرهونان بالزواج منـهـا. خـجـلـه وخـوفه وفقره ومعرفته بأن أمه لن تتقبل فكرة زواجه ــ كل هذه الأمـور أوهـمـتـه أنـه لـن يحظى بتحقيق أمنيته في الزواج من رباب، ودفعه هذا الى معاقرة الخمر (الصفحات ٨٥ ، ٩٩ ، ١٨١)، والى الساقطات في المواخير (صفحة ٨٨ ــ ٨٩)، والى شـراء أوراق اليـانـصـيـب، و بـهـذا أعـطى نفسه «زاداً جديداً للاحلام يضاهى نشوة الخمر» (صفحة ١٠٠) . و يصور كامل حاله في هذه الفترة المضطربة من حياته بقوله:

> كـنـت ومـا أزال في جـذب ودفـع مـتـواصلين، بين اقتحام الدنيا والجفول منها، بين حـبيبتي وأمي، بين ادمان العادة الجهنمية ورغبة الاقلاع عنها، فجاء نزاع جديد بين الميـل الى الخـمـر والـتـوبة عنها زادني رهقاً، حتى انقلبت ارجوحة تدفعها الشياطين وتجذبها الملائكة، ولا تكف عن التأرجح لحظة واحدة. (صفحة ٩١).

في هـذه الفترة الحرجة توفى جده واضطربت الاوضاع المالية لكامل وأمه، مما اضـطـرهـما لـلاسـتـغناء عن الخدم والانتقال الى شقة صغيرة و بيع معظم أثاث الـبـيـت. وهنا بدأ كامل يستسلم لمزيد من الأحلام والأفكار المنحرفة، فراح يحلم بـموت أبـيه لكى يرثه (صفحة ٩٧). ولما لم يمت أبوه بالسرعة التي تمناها ذهب الى ابيه مرتين يطلب منه عوناً مالياً يستعين به على الزواج (صفحات ١٠٢ ــ ١٠٨ ، ١١٤ ــ ١١٧). وفي المرة الأولى خـيـب أبـوه رجاءه، وفي المرة الثانية اغلظ كامل الـقول لابيه وصاح به بغضب وانفعال: «لابد أن آخذ ما أحتاج اليه .. هذا بيتى ومـا بـه من مـال فـهـو مـالي، ولن تمنعني قوة عما أريد» . وهنا ثارت ثائرة الأب وطرد ولده شر طردة واتهمه بأنه يهدده بالقتل (صفحة ١١٧).

المهم هنا أن كامل قام بزيارة أبيه من وراء ظهر أمه. بل إن كل انحرافاته في هذه الفترة كانت تمارس من وراء ظهرها، ومنها ممارسته للعادة السرية وأحلام اليقظة والتردد على الحانات، وقصة الحب الصامت، وشراء اوراق اليانصيب، ومحاولة الاستعانة بأبيه وغير ذلك.

وفجأة يموت (رؤبة لاظ) و يصل كامل الى حقه في تَرِكَة أبيه. وتبدأ مرحلة جديدة في حياة كامل، مرحلة يتيسر له فيها المال و يتوج قصة حبه بالزواج. ما يهمنا هنا هو أن هذا الزواج يتم رغم أنف أمه، فهي لم توافق عليه باختيارها وارادتها. وقد كان هذا الزواج احدى قمم التمرد على أمه، لأن كامل أقدم عليه ليحقق به سعادته ولو على حساب سعادتها. انها تحاول مرات عديدة أن تثنيه عن التفكير بالزواج وعن الاقدام عليه. يقول كامل: «ثم جاء دور أمي .. فأخذت أتمرد عليها وان لبث تمردي ناراً مكنونة لا يتطاير لها شرر. ونشأ ذلك من موقفها الغريب حيال ما يذكرها بزواجي عاجلا أو آجلا» (صفحة ٧٩).

فكرة زواج كامل جعلت أمه تغضب من أختها حين طرحت الموضوع عليها، كما دفعتها الى أن تطرد الخاطبة من بيتها (صفحة ٨٠) . وتقول لولدها تبريراً لتصرفها : «انهن لا يرمن سعادتك، ولكنهن يردنك مطية لسعادة بناتهن» ثم تقول: «لا يجوز ان يتزوج الشخص قبل ان تكتمل رجولته». و يتساءل كامل: «اذا لم تكتمل رجولتي فى السادسة والعشرين، فمتى تكتمل اذن؟» ثم تقول أمه أنها تريد له عروساً جديرة به، جميلة وذات خلق ومن أسرة كريمة وغنية (صفحة ٨٠). ثم تذكره أن الزواج ليس لهواً ولعباً. وتذكره بمأساتها في زواجها، وتردّد على مسامعه مقولتها المألوفة: «السن أمر عظيم الخطورة، وأنت بعد في حكم الاطفال» (صفحة ٨٢). ثم تلمح الى أن زواجه سيكون على حسابها فتقول: «لقد عشنا معاً طوال هذا العمر، وليس لى أمل في هذه الدنيا سواك، فاذا نبذتني لم أجد لى مأوى» (صفحة ٨٢). وازاء هذا كله يسخط كامل على أمه «لانها قابلت رغباتي الكامنة بثورة تجاوزت حدود الحكمة! وتماديت في سخطي فقلت

أنها ذكرت نفسها أكثر مما ينبغي ونسيتني أكثر مما ينبغي .. فرميتها بالأنانية .. وعقب حديثنا الغريب بيومين أصابتها وعكة مرض الزمتها الفراش» (ص ٨٣).

كان هذا موقف أمه من الزواج كفكرة، وحينما أصبح الزواج مشروعاً ملموساً لم تتخل الام عن موقف الرفض، ولكن رفضها اتخذ أسلوب الانتقاد والنصيحة. حين يخبر كامل أمه انه قرر ان يتزوج تلوح في عينيها الدهشة والذهول والغباء، و يصاب صوتها بالتهدج والانفعال. و يقول لها أنه قرر ذلك لأنه كبر فتصفه بأنه طفل مكابر. وتسأله عن هذه التي ينوي أن يتزوجها وحين يقول انها مدرسة تقول باستياء: «مدرسة... إن بنات الأسر الطيبة لا يشتغلن مدرسات! والمدّرسة إما أن تكون دميمة أو مستهترة مسترجلة». وحين يستنكر هذا القول تقول بنرفزة: «لا داعي لاهانتي من أجل فتاة مدرسة....» وحين تجد ابنها مصمماً تقول في حذر واشفاق: «ألا يحسن بك أن تؤجل الشروع في الخطبة حتى يحول الحول على موت أبيك؟» و يرفض كامل هذا الاقتراح و يعتبره مكراً مكشوفاً (صفحات ١٣٢ ــ ١٣٥). وحينما يقوم كامل باتمام الخطبة يأتي الى أمه فرحاً ويخبرها بما تم بقوله: «لم أكن أقدر أن ينتهي مسعاي إلى ما انتهى إليه...» فقالت بحدة: «ياالله! أكنت تتصور أن يرفضوا يدك؟! يالك من طفل غرير. ألا تعلم أن الفتيات لا حصر لهن، وخير من فتاتك الف مرة، يرضين بك عن طيب خاطر!» (صفحة ١٤٥).

و يتزوج كامل الفتاةالتي ظل يرنو اليها ويحبها في صمت طيلة ثلاث سنوات. لكنه يواجه مشكلة العجز الجنسي مع زوجته. وقد كانت أمه أحد الاسباب الرئيسية لعجزه. في الليلة الأولى من زواجه يتذكر أمه و يتساءل: «ترى هل نامت؟ .. هل تتخيل ماذا أفعل الآن؟ وتضاعف اضطرام الخجل بنفسي، وشعرت بما يشبه الاختناق» (ص ١٥٧). و يشرح كامل أحاسيسه تجاه وجود أمه في بيت الزوجية بقوله: «كنت أجد نحوها احساسين متناقضين: احساساً بالرغبة في وجودها معي .. وآخر بالخجل الاليم لوجودها في بيت الزوجية. والحق أني ما كنت أذكرها حتى يتندى جبيني خجلاً» (ص ١٦٣).

ان وضع كامل مع أمه وزوجته يشبه شبهاً كبيراً حال (بول) مع أمه وحبيبته مريم في **ابناء وعشاق**. فهو مشدود الى زوجه بوثاق المحبة الطاغية رغم عجزه الجنسي، كما أنه مشدود الى أمه بوثاق الالفة والمحبة البنوية القوية، وهو بين أمه وزوجه ممزق أعنف التمزيق، وكلاهما تناصب الأخرى العداء ولا سبيل الى التوفيق بينهما. كذلك فان كامل، مثل (بول)، يجد متنفساً لغريزته الجنسية مع امرأة مجربة تكبره سناً، وهي عنايات. ومع أنه ظن أن الحياة قد صفت له، فانه لم يتخلص من الخوف وكان يتساءل: «أكنت سعيداً حقاً؟ كان قلبي موزعاً بين أمي وزوجي وعنايات، بين الذكريات العميقة والهيام السامي والحب العارم، وحسبتني قد آويت من زوابع الحياة الى مرفأ هادىء. لكن القلق عاد يطرق بابي .. كنت أمضي في طريقي، ثم أتوقف حيناً بعد حين في تردد كأنني أتساءل عن شيء نسيته .. ثم يتبين لي أنه ليس ثمة شيء يستوجب التردد فأمضي على وجهي». (ص ٢٢٣).

لكن سعادة كامل لم تكن الا وهماً وسراباً وقصراً في الهواء. في يوم واحد تمرض زوجه وتموت، و يكتشف أنها كانت تخونه مع الطبيب، قريبها، وأنها ماتت نتيجة لعملية اجهاض اجراها عشيقها الطبيب في محاولة فاشلة لستر الفضيحة واخفاء الخيانة. وفي مساء اليوم نفسه يعود الى بيته حزيناً حاقداً ثملاً، وتستقبله أمه المريضة قعيدة الفراش مواسية معزية، فيرفض التأسّي وقبول العزاء، و يصب الحقائق المفجعة في مسامع أمه في غيرحذر ولا تأن ولا رحمة، وتظن أنه يهذي، فيؤكد لها الحقائق المرة و يتبع ذلك بأقسى كلام سمعته منه طيلة حياتها. يتهم أمه بالكذب والشماتة و يصيح بها في جنون: «اشمتي ما شاءت لك الشماتة، ولكن اياك أن تتصوري أننا سنعيش معاً. انتهى الماضي بخيره وشره ولن أعود اليه .. سأنفرد بنفسي انفراداً ابدياً. لن أعيش معك تحت سقف واحد .. احسبيني منذ اليوم في عداد الاموات» (٢٤٥ ــ ٢٤٦).

وتموت أمه في الليلة نفسها تحت تأثير المرض والحزن والفجيعة. لكنه لا يعلم بموتها إلا في اليوم التالي فيجن جنونه حزناً على فقدها وندماً على قسوته عليها،

و يتـهـم نـفـسـه بقتلها و بقتل زوجه من قبلها. و يغيب عن الوعي ثلا ثة أيام ثم يطرحه المرض فيلازم الفراش زهاء شهر. و يبدأ مرحلة النقاهة بأحاسيس متناقضة. فهو طوراً يفكر في العودة الى الحياة «شخصاً جديداً، سليم الجسم والروح ... فألقي نفسي في خضم الانسانية بلا خجل ولا نفور، أحب الناس ويحبونني، ... وأندمج في كائنهم الكبير عضواً عاملاً نافعاً» (٢٥٤). وطوراً آخر يفكر في اعتزال الحياة والناس والتصوف.

لكن مجيء عنايات المفاجيء ينقذه من هذا التمزق ومن هذا العذاب والعقاب والتكفير، و يضعه على بداية الطريق الى حياة سو ية.

وهكذا تتوازى لدى (أوديب) و (بول) وكامل مسيرات الوصول الى الحكمة ومعرفة الذات. فكل منهم لا يعرف حقيقة نفسه وجوهر ذاته الا بعد العبور فوق جسر الدموع والآلام. وتصدق عليهم جميعاً الحكمة القديمة: لكى يتعلم الانسان الحكمة لابد له أن يجرع كأس الآلام « Man must suffer to be wise ». (Agamemnon , line 180)

ثانياً: قصة أورست (ORESTES)

يرى الدكتور عز الدين اسماعيل أن عقدة أوديب لا تكفي وحدها أساساً لتفسير قصة **السراب** كلها، وأن شخصية كامل مزيج من «ديمترى» [١٥] و «هاملت» [١٦] ومن نفسه. و ينتهي الى القول بأن «الجزء الأكبر في شخصية كامل لا تفسره لنا إلا عقدة (أورست). وتحليل شخصيته على هذا الأساس هو الطريقة التي نراها الآن كافية لأن نضع لهذه القصة معنى» (اسماعيل، ١٩٦٣: ٢٥٩).

ولكي نفهم هذا القول نرى أن نقدم له بملخص لقصة (أورست) و بشرح موجز لمعنى عقدة (أورست) ودلالا تها.

أما القصة فتتركز حول إقدام (أورست) على قتل أمه (كلايتمنسترا) عن

قصد وتصميم. وليست قصة القتل هذه سوى حلقة من حلقات الغدر والاغتيال والكذب والخيانة والشر التى ابتُليَ بها ابناء (أتريوس) (Atreus) حاكم مدينة آرجوس (ARGOS). كان (أتريوس) هذا فى نزاع دائم مع أخيه الوحيد (ثييست) (Thyestes) على العرش وفى الحب. وفاز (أتريوس) بالعرش لكن أخاه انتقم منه بايقاع زوجته (أى زوجة أتريوس) في حبه. فلجأ أتريوس الى الغدر والحيلة، وأعلن أنه يرغب في مصالحة أخيه ودعاه الى وليمة. وفي يوم الوليمة ذبح ابني اخيه الصغيرين وقدم لحمهما طعاماً لأ بيهما. وحين علم (ثييست) أنه أُطْعِم لحم طفليه أدرك أنه أصبح ملعوناً في نظر الآلهة والناس ففر من البلاد مع طفله (أجستس Aegesthus) الذى نجا من الذبح، وراح يستمطر اللعنات على (أتريوس) وذريته.

وصفا الجو لأتريوس فحكم البلاد في هدوء حتى مات عن ولدين خالدين في التاريخ اليوناني، أولهما (أغاممنون) ملك آرجوس وزوج (كلايتمنسترا)، ووالد (أورست) و (الكترا) و (افيجنايا)، وقائد القوات اليونانية في الحروب الطروادية، وثانيهما (مينيلاوس Menelaus) الذى تزوج (هيلين) أخت (كلايتمنسترا) وابنة ملك اسبارطة، و بسبب هذا الزواج أصبح (مينيلاوس) ملكاً على اسبارطة. كانت هيلين أجمل جميلات اليونان في عصرها. وكان امراء اليونان يتنافسون على الفوز بقلبها لكنهم حسماً للخلافات والفتن تعاهدوا أن يدينوا بالولاء والطاعة لها ولمن تختاره من بينهم بعلاً لها.

وذات يوم حل الأمير (باريس) ابن ملك طروادة ضيفا عند ملك اسبارطة فوقع في حب هيلين ووقعت هى في حبه، واغتنما فرصة غياب (مينيلاوس) عن بلده وفرت (هيلين) مع (باريس) الى طروادة، تاركة وراءها زوجها واطفالها. وكان هذا الحادث المؤلم بداية وقوع اللعنة على أولاد (أتريوس).

اعتبر أمراء اليونان هذا العمل من (باريس) انتهاكاً لقوانين الضيافة واعتداء على شرف الأمة اليونانية بأسرها، ووضعوا أنفسهم تحت تصرف

(مينيلاوس) وأخيه (أغاممنون). ثم جمعوا الجيوش الجرارة وأمَّروا عليهم (أغاممنون) قائداً عاماً. وحين اجتمعت الجيوش في ميناء (أوليس Aulis) تمهيداً للابحار الى طروادة هدأت الرياح واستحال الابحار وبقي الجيش حبيس الميناء حتى ظهرت بوادر التمرد والفوضى في صفوف الجيش وقدمت القرابين المعتادة لاله الريح دون جدوى. ثم ارسل القائد (أغاممنون) وفدا لاستشارة كاهن الآلهة في معبد (دلفي)، فأشار الكاهن بضرورة ذبح ابنة القائد الحبيبة (افيجنايا) قرباناً للآلهة. وكان هذا الحادث حلقة ثانية من اللعنة التى حلت على ذرية (أتريوس).

ووجد (أغاممنون) نفسه بين نارين. فإما أن يذبح ابنته ويحطم سعادة أسرته وراحة باله لكى يحافظ على مركزه وعلى تماسك جيشه ولكي يمنع قيام فتنة داخلية وحرب أهلية في البلاد، أو أن يستمع لنداء قلبه و يبقي على حياة ابنته وتماسك أسرته و يفقد قيادة الجيش و يواجه الفتنة والحرب الأهلية. واستسلم مكرهاً، فذبح ابنته وانقذ الجيش ووحدة البلاد. ألغى دوره وواجباته كأب ورب أسرة ليقوم بواجباته كقائد جيش ورئيس دولة.

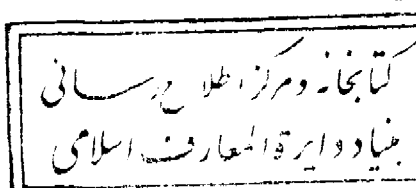
بعد ذلك هبت الرياح وأبحر الجيش وقائده وامراؤه الى طروادة واضطرتهم ظروف الحرب الضروس الى التغيب عن أوطانهم وزوجاتهم واطفالهم عشراً من السنين.

وبقيت (كلايتمنسترا) في (أرجوس) تجتر احزانها ومخاوفها وهمومها وقهرها. ظلت عشراً من السنين ملكة قلقة خائفة من الفتن الداخلية، وأما ثكلى، وزوجة تركها زوجها في فراش بارد بعد أن فضل عليها مُلْكَه وأمجاده وجواريه وعشيقاته، أو هكذا كانت تأتيها الاخبار والاشاعات. وفى هذه المحنة الرهيبة جاءها من يوغر صدرها و يزيد حقدها على زوجها ويحاول في الوقت نفسه أن يستميل قلبها، فوثقت به، وصدقته، ومالت اليه وكرهت زوجها. انه (أجستس) (Aegesthus)ابن عم أغاممنون، الابن الثالث لثييشْتْ، وهو الوحيد الذى نجا بعد أن ذبح أخواه طفلين ومات ابوه مغدوراً مقهوراً ملعوناً.

وتسقط طروادة و يعود (أغاممنون) قائداً منتصراً مظفراً، وتستقبله زوجه استقبال الفاتحين، وتتودد اليه بكلام غامض ظاهره محبة خالصة وعتاب رقيق وباطنه حقد مدمر وغل دفين. و يستسلم (أغاممنون) لزوجه في خيلاء و يطمئن اليها في غفلة، و ينقاد لها في يسر وسهولة حتى تدخل به الحمام فتنهال عليه بسيف الغدر حتى تقتله. ثم تعلن للملأ أن (أغاممنون) كان، مثل أبيه، خائناً وملعوناً من الآلهة وأنه أهملها كزوجة وخانها مع جارياته وعشيقاته، ولذلك فقد استحق هذه الميتة. كذلك فانها تعلن للملأ أنها منذ اليوم ستحكم البلاد مع زوجها الملك الجديد (أجستس)، وأن على الشعب أن يرضى و يذعن.

وتحكم (كلايتمنسترا) وزوجها البلاد سبع سنين كاملة. وفى هذه الاثناء يكبر (أورست) و (الكترا) (ابنها وابنتها من أغاممنون). أما ابنها فكان يعيش فى المنفى بعيداً عن القصر، وأما البنت فكانت تعيش في قصر أبيها مع الخدم. وتدرك الأم أن ابنها ملزم، حسب أعراف المجتمع اليوناني وديانته حينذاك، بالانتقام من قاتلَيْ ابيه. لكنه، حسب القانون نفسه، محرم عليه أن يسفك دم أمه ــ ومن هنا كانت مشكلة أورست وعقدته: أن يقتل وأن لا يقتل. ولكن الاله (أبوللو) يأمره ان ينتقم لأ بيه و يقتل القاتل ولو كان أمه، و يعده بالحماية والتبرئة في عيون الآلهة والناس. وهكذا يقوم (أورست) بمعاونة أخته (الكترا) بالثأر لأ بيه وقتل أمه وعشيقها ثم يسلم نفسه بعد ذلك لمحكمة أثينا لتبرىء ساحته، أو تدينه وتسلمه لآلهات الغضب والانتقام (the furies) المكلفات بعقاب الابناء الذين يقتلون أحد والديهما. وتقرر المحكمة أن جريمة الزوجة التى تخون زوجها في غيابه وتغتاله لدى عودته أفظع من جريمة الابن الذى يقتل أمه حين تكون هذه الأم قد خانت زوجها وقتنه. ولهذا تبرىء ساحته.

معنى عقدة أورست: تمثل (كلايتمنسترا) دور الزوجة المستبدة والأم المسيطرة. قضية السيطرة في الأسرة قضية هامة في مجتمع الأسرة الأبوية (Patriarchal family)، أي المجتمع الذى يعتبر السلطة والسيطرة في الأسرة من حق الرجل (الزوج والاب) ووقفا عليه . ولهذا فان المرأة التى



تـغتصب من من زوجها السيادة على الأسرة هي في نظر هذا المجتمع امرأة منحرفة مجرمـة لا تـرعى حرمة لقانون مجتمعها. المرأة الصالحة في هذا المجتمع هي بنيلوبي (Penelope)، أي الـزوجـة التي تخضع لزوجها ان حضر وتظل وفيه له حريصة على شرفـه وأسـرتـه ان غـاب. وهـى زوجـة لا تـسـأل زوجـها عما يفعل، ولا تتسقط أخـطاءه، ولا تحاول أن تفرض عليه ما لا يطيق أو ما لا يتفق مع طباعه، بل تقبله كـمـا هـو، بـخـيـره وشره، وحسناته وسيئاته، وتحترمه وتكرمه وتروض نفسها على الرضا بما يريد. (١٧)

لـكن (كلايتمنسترا)، ومثيلا تها (الملكة جرترود في **هاملت** ، والسيدة موريل في **ابناء وعشاق**، وأم كامل في **السراب**) نساء متسلطات مغتصبات. كـل منهن تريد أن تصوغ زوجها على هواها، فان منعه دوره الاجتماعي أو طبعه، أو أى سبب آخر، من الاستجابة لرغبتها، غضبت منه، واحتقرته، وحقدت عليه، وأهملـتـه، وانـصرفت عنه الى عشيق آخر ينصاع لارادتها و يكون على هواها. وقد يكـون هـذا الـعـشـيـق رجـلا آخـر مـثـل (اجـسـتـس) في مـسرحية **أغاممنون** أو (كـلـوديوس) في مسرحية **هاملت،** وقد يكون ابناً من ابناء هذه الزوجة المتسلطة مـثـل (بـول) **في ابناء وعشاق** وكامل في **السراب** . ثم ان اهمال هذه الزوجة لـزوجـهـا وطرده مـن مكان الصدارة في قلبها وفي حياة الاسرة ليس في جوهره الا قـتـلاً للـزوج واغـتـصـابـاً لدوره ومكانته في حياة الأسرة، كما أنه في نظام الأسرة الابو ية انتهاكاً لما يعتبره المجتمع قانوناً طبيعياً.

مـن نـاحـيـة أخرى يقف الا بن الطفل من أبو يه المواقف التالية: فهو من جـهـة يـنافس أباه في الفوز بحب أمه وقلبها و يتمنى لهذا الأب أن يختفي — يموت أو يُقْتَل أو يسافر ولا يعود. وهو من جهة ثانية يشتهي أمه و يتمنى أن يكون فراشها له ولها وحـدهـا. مـوقـفـه تجاه أبيه يسمى الميل الى قتل الاب (Patricide). أما شـهـوته لأمه فهي الميل الى الفسق بالمحارم (Incest) . في الأسرة الأ بو ية السليمة تـتـحـول الـرغـبة في قتل الأب الى احترام لهذا الاب وتبجيل له واعتزاز به، وذلك بـدافـع الخـوف مـن سـطـوة هـذا الأب ومـن قدرته على خصي ابنه (Castration)،

و بتأثير التربية الاجتماعية والدينية كذلك يتغلب الطفل، حين ينمو و يكبر، على حبه لأمه المختلط بشهوته وميله الى الفسق بها، فيطهر حبه لها من كل أثر للشهوة. وهذا ما يسمى بعملية التصعيد والتسامي (Sublimation) التي تحتوي على عناصر من الكبت العفوي للشهوة المحرمة (Suppression) ومن التضحية بالذات من أجل الأب (Self sacrifice) ومن رغبة في تكريس النفس لاسعاد الأم وتلبية كل رغبة لها. و يتم هذا كله بتأثير التربية الدينية والأخلاقية السائدة في المجتمع.

هذا هو ما يحدث بالنسبة للمراهق السويّ الذى يعيش في أسرة سوية تكون العلاقات الزوجية والأسرية فيها علاقات سوية خالية من أي انحراف أو تشوهات. أما اذا كانت العلاقات الأسرية التى يشب الطفل في ظلها علاقات منحرفة، فان ما فيها من انحراف ينعكس على الابن و يؤثر فيه تأثيراً سيئاً.

بالنسبة لأورست، مثلا، كانت العلاقات بين أبو يه، خلال سنى حياته الطفولية، علاقات سوية. كان الزوج ملكاً مهيباً في شعبه مطاعاً في بيته محباً لأطفاله ومحبوباً لديهم. وبهروب (هيلين) مع عشيقها اضطربت احوال البلاد كما اضطربت أحوال الأسرة. اضطر الزوج أن يخدع زوجته و يكذب عليها حين طلب منها احضار ابنتها ليزوجها من فارس فرسان اليونان (أخيل)، فنفذت طلبه بسرور وسعادة وشوق. وكم كانت فجيعتها مرة وأليمة حين رأت قرة عينها تذبح قرباناً للآلهة بدل أن تزف الى عريس عظيم. كانت خدعة فظيعة حرية بأن توغر صدر الأم على زوجها، وكانت التضحية بالفتاة، بالنسبة للأم، جريمة منكرة ينفطر لها القلب. وفوق الخديعة والفجيعة جاء الهجر والقطيعة — هجر الزوج زوجته سنوات طوالا. ولا شك أن هذه الاضطرابات المؤلمة فى أسرة الطفل (أورست) تركته بدوره نهباً لاضطرابات فتاكة. ذاك أبوه غائب في حرب ضروس قد لا يعود منها، وتلك أخته الكبيرة تذبح، وهذه أمه تعيسة غاية التعاسة، ثم يدخل البيت رجل غريب يغتصب مكان أبيه في فراش أمه، ثم تقوم أمه بابعاده عن قصرها ونفيه من حياتها بحجة انها تخاف عليه من مؤامرات القصر أو تمرد

الشعب، ثم يعود أبوه مظفراً فيقتل يوم وصوله الى بيته بيد امرأته، و يُعْلَنُ عشيق أمه وعدو أبيه ملكاً على البلاد.

ولا شك أن أشد ما عانى منه (أورست) كان خيانة أمه وغدرها. أما عاشق أمه وقاتل ابيه فان تأثيره النفسي على أورست كان طفيفاً اذا ما قيس بالتأثير المدمر الذى خلفته فعال امه. ولهذا فان (أورست) حين يقتل عاشق أمه وقاتل أبيه ومغتصب عرشه لم يشعر بأى ندم أو خوف. أما قتله لأمه؟ فتلك قضية معقدة أشد التعقيد.

في معرض تحليله النفسي لمشكلة الامير هاملت وتردده الطو يل في الانتقام لابيه حتى بعد معرفته للقاتل، يقول الدكتور عز الدين اسماعيل أن هاملت كان يعاني من عقدة (أورست). وهذا قول يحتاج الى شيء من الشرح.

لقد اسلفنا أن الطفل يشتهى أمه. في الأسرة السو ية حين يكبر الطفل يتغلب على عنصر الشهوة في حبه لأمه و يكبت هذا العنصر بشكل عفوي بحيث يصبح حبه لأمه حباً بريئاً طاهراً خالياً من اي عنصر محرم. لكن إذا غاب الأب (بسبب الموت أو السفر) واتخذت الأم لنفسها زوجاً ثانياً أو عشيقاً، يضطرب حال الا بن وتعود شهوته المكبوته الى الظهور، بعد أن صار يعتبرها حراماً ويحتقرها و يكبتها. ولهذا يتجدد الصراع الداخلي في الا بن ــ صراع بين شهوة الفسق بالمحارم (Incest) من جانب والرغبة في التمسك بأهداب الفضيلة وعدم الانزلاق في مهاوي الرذيلة من جانب آخر. ولهذا تتولد فيه الكراهية لأمه و يدخل في معاملته لها شيء من القسوة. لكن كراهيته وقسوته ليست حقيقة، بل هي أسوار وخنادق ومتاريس يتحصن الا بن وراءها كيلا ينزلق الى حب آثم. إنه يكره أمه ليبعدها عن نفسه، و يقسو عليها ــ وربما يقتلها ــ ليحمي نفسه. وهذا القتل أو القسوة وتلك الكراهية شر لا شك فيه، لكنهما شر يُلْجَأُ اليه و يُستعان به لدفع خطر أكبر وشر أعظم (اسماعيل، ١٩٦٣: ١٤٧ ــ ١٥٨) . من ناحية أخرى فان قتل (أورست) لأمه له مغزى آخر لا يقل أهمية. فهو تمرد على وضع أسري منحرف

يتيح للمرأة أن تتمتع في الأسرة بسيطرة وسطة ليسا حقاً طبيعيا لها، ومحاولة يائسة لتصحيح ذلك الوضع باسترجاع تلك السيطرة ــ بالقوة والعنف إن لزم الأمر ــ و وضعها في يد صاحبها الشرعي ــ أي في يد الزوج أو، إن غاب الزوج، في يد ابنه الذى من حقه أن يرث حقوق أبيه ومركزه.

بهذا الشرح يتضح لنا بعض التوافق بين مشكلات (أورست) و (هاملت) من جانب، ومشكلات (بول) وكامل من جهة أخرى. أم (بول) وأم كامل تقوم كل منهما بطريقتها الخاصة وحسب الأنماط المألوفة في عصرها وحضارتها، بدور (كلايتمنسترا)، فتحتقر زوجها وتهمله وتطغى عليه وتسلبه دوره في حياة الأسرة.

السيدة موريل **في أبناء وعشاق** تسعد بزوجها وتسعده أشهراً معدودات فقط ثم تكتشف أنه ليس الرجل الذكي الطموح المستقيم الصادق الذى كانت تتمناه، وأنه يكذب عليها ويخدعها، فتتمرد عليه وتنتزع منه السلطة في الأسرة، وتروح تسخر منه وتناكفه وتحظر عليه التدخل في شؤون أولادها أو المشاركة في رسم مستقبلهم. حين يقص زوجها شعر طفلها الجميل (وليم) تنقض عليه كالنمرة الشرسة وهى تود لو تعاقبه (ص ٢٤) . وتمنعه من تأديب الولد (وليم) حين يمزق ياقة قميص ابن الجيران (ص ٦٤ ــ ٦٨) . و يبدي الزوج رغبته في أن يجعل من (وليم) عامل مناجم مثله فتنهره وتسخر منه وتصر على أن تُلْحِق (وليم) بالمدارس وأن تجعل منه موظفاً مثقفاً(ص ٦٩). وتمعن السيدة موريل في احتقار زوجها وتأليب أولادها عليه حتى يحس الرجل أنه وحيد وغريب ومنبوذ في بيته. وهى بهذا تقتله كما قتلت (كلايتمنسترا) زوجها (اغاممنون) . لكن القتل هنا معنوي و يتم بطريقة عصرية . كذلك فان السيدة موريل تبدي اهتماماً واحتراماً خاصين لغير زوجها من الرجال. فهى مثلا تستضيف رجل الدين السيد (هيتن Heaton) فى بيتها وتتحدث معه في مواضيع دينية وثقافية لا يفقه زوجها شيئاً منها، وتقدم لضيفها الشاي والكعك في أطباق خاصة فوق مائدة أنيقة مرتبة مما يثير حفيظة زوجها وغيرته لأنه لا يجد من زوجته اهتماماً واحتراماً مشابهين. كذلك

فـانـهـا تـكـشـف لا بـنـهـا (بـول)، بعد أول زيارة قاما بها الى مزرعة السيد ليفرز (Leivers)، عـن إعـجـابها بهذا الرجل وتتمنى لو كانت زوجة لرجل مثله. وهذه الأمـنـيـات المكبوتة لديها توازي، لو تحقق لها النجاح، ما فعلته (كلايتمنسترا) في غياب زوجها، حين اتخذت من (أجِسْتُس) عشيقاً.

و يـنـشأ أبناء (والترموريل) في هذا الجو العائلي المتوتر المنحرف. و يقفون في طـفـولـتـهـم الى جـانـب أمـهـم وضـد أبيهم. ولكنهم حين يكبرون يـشعرون بـالـتـمـزق بين حبهم لأمهم وانجذابهم اليها ورغبتهم في التخلص من استبدادها والاستـقـلال عـنـهـا. وقـد أشـرنـا من قبل (صفحة ٢٩ ـ ٣٠) الى معاناة الا بن الاكـبـر (ولـيـم) مـن هـذا التمزق. كما أشرنا (صفحة ٣٠ ـ ٣٣) الى محاولات (بـول) للـتـخـلـص مـن هـذا الـتأزم العنيف في أعماقه، والى تخلصه من هذه الأم المستـبدة العنيدة عن طريق قتلها بالمورفين. و بيناً كيف عاش بول بعد ذلك فترة مـؤلمة من أتهام النفس والعذاب والتكفير الى أن تحرر اخيراً من عقدة الذنب و بدأ حياة جديدة سو ية.

أمـا أم كامل في **السراب** فتطلق زوجها طلاقاً نهائياً قبل أن يولد ابنها كـامـل. وهي لم تطلق زوجها فحسب، بل تطلق معه كل جنس الرجال، وتكوّن مع طـفـلـهـا أسرة وحدهما. وهكذا ينشأ كامل في أسرة غريبة التكوين، أسرة بلا أب، أسـرة قـامـت فـيـها الأم بدور الأب والأم معاً. باختصار عاشت أم كامل مع ولـدهـا أسـرة أمـازونـيـة. [١٩] وقد رضع كامل من أمه كراهية دائمة لأ بيه. ولهذا نـشـأت لـديه العقدة الاوديبية بِشِقَّيْها: كراهية لأ بيه وحب آثم لامه. لكن الأ ثم في هذا الحب كان يتخذ شكل البراءة الطفولية التي لا تعي حقيقة ما تفعل. يقول كـامـل أنـه كـان مـلـتـصـقاً بأمه ليل نهار، «أنام في حضنها، وأقضي نهاري على كتفها أو بين يديها...بل كنا نستحم معاً فتحطنى في طشت عارياً وتجلس أمامي مـتـجـردة فـأرشـها بالماء واقبض على رغوة الصابون النافشة على جسدها فأدلك بها جسـدي» (صـفـحة ١٥). لكنه حين تتزوج أخته وتنجب بنتاً و يتساءل في براءة عـن مـعـنـى الـزواج والانـجـاب، تـرفـض أمه واخوته أن يشرحوا له الأمر، فتتبرع

الخادمة المراهقة الدميمة القبيحة بشرح هذه الأمور له بأسلوب عملي في خلواتها به و يسعده هذا الشرح و يلذ له، الى أن «ضبطتنا أمي متلبسين. ورأيت في عيني أمي نظرة باردة قاسية فادركت أني اخطأت خطأ فاحشاً» (صفحة ٣٧). وهكذا يدرك كامل لأول مرة، وهو في الثالثة عشرة من عمره، أن العلاقة الجنسية أمر معيب ومحرم. ولكنه حتى هذه اللحظة لا يدرك الفرق بين العلاقة الجنسية التي تتم في ظل الزواج وتلك التي تتم خارج حدود الزواج. ظن أن كل علاقة جنسية، رغم ما فيها من لذة ونشوة، هي علاقة شائنة. ولهذا حين جاء الجد ذات يوم يعرض على ابنته (أم كامل) الزواج من ضابط متقاعد، وعلم كامل بالأمر، جُنَّ جنونه وانفطر قلبه، واندفع بين ذراعي أمه يقول لها في اضطراب وتوجع وإصرار: «ولكنه يريد لك امرأً معيباً محرماً». وتحاول أمه أن تشرح له الفرق بين الزواج الحلال والزنا الحرام فلا يفهم لأنه لا يريد أن يفهم . وتشير الى أنه سيتزوج يوماً و يتركها، فيتعهد لها بحماس : «لن أفارقك ما حييت» (صفحة ٣٨ — ٤١).

بعد ذلك يدخل كامل مرحلة المراهقة و يكتشف العادة السرية فسيتقبلها بدهشة ولذة، و يعكف عليها في إدمان، ولكنه في خياله لا يمارس الجنس إلا مع الخادمات الدميمات. وتمتلىء حياته بالمتناقضات التى ينوء بحملها، (ممارسة العادة، ثم شعور بالذنب، ونكد طويل، وندم، وصلاة ودعاء، ثم ممارسة العادة من جديد، وهكذا) فيفكر بالانتحار و يشرع به ثم يفشل.

و بدأ كامل مرحلة الدراسة الثانوية وهو في السابعة عشرة. صار يعرف قيمة المظهر وراح يتأنق. وكانت أمه مفتونة بجمال مظهره حتى لكأنها صبية تغازل فتاها. يقول كامل: «القت أمي علي نظرة طويلة ثم قالت بسرور: كالقمر وحق كتاب الله!..» (صفحة ٥٥).

وحين بدأ دراسته الجامعية في سن الخامسة والعشرين كان الاعجاب والافتتان بينهما متبادلا، فأمه كانت مفتونة بجماله، وهوبدوره كان يعاملها

وكأنها زوجة حبيبة. يقول: «أما أمي فقد... جَفّ عودها واشتعل مفرق شعرها وسوالفها شيباً، إلا أنها تمتعت بصحة جيدة كما حافظ وجهها على جماله و بهائه. وكانت ربما استسلمت في أحايين للاهمال فلا تعنى عنايتها المعهودة بهندامها، ولشد ما كان يتولاني الحزن والاستياء لذلك، حتى قلت لها مرة (لاقيني بالهيئة التى تلقين بها الضيوف). ولم تخيب رجائي ذاك فكانت تبدو لي وهى على أحسن حال، وطابت نفسي ورضيت» (صفحة ٥٩). وحين رأى فتاة النافذة وأحبها وَدّ لو تنتبه له وتعيره اهتمامها، فراح يتفنن في التأنق من أجلها. وتظهر لديه بوادر النرجسية، يشجّعه على ذلك تغزل أمه بجماله. يقول: «في صباح اليوم الخامس أطلت وقفتي حيال المرآة قبل أن أغادر البيت.. ينبغى أن أعترف هنا باعجابي الشديد بذاتي.... وكان تأنقي مضرب الأمثال في البيت والمدرسة على السواء حتى لأذكر قول أستاذ اللغة العربية لي مرة: (لو أتقنت اللغة العربية إتقانك لعقد رباط رقبتك لما كنت اسوأ تلميذ عندي!) نظرت الى صورتي ذاك الصباح، وجعلت أمي ترمقني باعجاب وتمازحني بكلمات كالغزل فقلت لنفسي آه لو تدري لمن أتأنق!..» (صفحة ٦٤ ـ ٦٥).

وفي هذ الفترة بالذات، حين بدأ كامل يحب في صمت امرأة أخرى، بدأ أول انفصال حقيقي وذي معنى رمزي هام عن أمه. كان رغم بلوغه السادسة والعشرين ينام مع أمه في سرير واحد. ولكنه الآن اشترى سريراً آخر وركبه في نفس الحجرة (صفحة ٧٥). و بدأ منذ ذلك اليوم ينظر الى أمه بقدر غير قليل من السخط. كما بدأت تلح عليه خواطر كالخواطر التالية:

إن مثل سعادتي هذه (أي سعادته بحب رباب) مما تعده أمي كفراً لا يغتفر. وقلت لنفسي متغيظاً: «ربما كان أي ضرر يقع بي أخف لديها من كشف حبي!» (ص ٧٥).

وصار ينعم النظر في حياته فيجد عمره يمضى كل يوم في عمل يضيق به وفي وحشة لا تتبدد إلا ساعتين، «ساعة المحطة، وساعات الأنس بأمي في بيتنا. وحتى تلك الأو يقات السعيدة لم تخلُ من تنغيص وألم، فعند حبيبتي يطاردني

طيف أمي، وعند أمي يخيفني طيف حبيبتي، وتولد من ذلك قلق محير.. فشملني بكآبة لا تريم.» (صفحة ٧٨ ــ ٧٩).

و يقول بعد ذلك: «بتّ أشعر بأني فريسة همين قاتلين: ترددي وأمي، ومن يدري فلعل أمي هي الهم كله. وتجمعت نفسي الحيرى تروم سلاماً تلوذ به، فأجمعت على أن أقابل الخطر وجهاً لوجه وليكن ما يكون» (صفحة ٨١).

أما هذا الخطر فكان مفاتحة أمه برغبته في الزواج. وقد فاتحها. فماذا كان رد الفعل عندها؟ «أصابتها وعكة مرض الزمتها الفراش فلم أفارقها أثناء مرضها الا في اوقات العمل» (ص ٨٣). ثم يتصورها وقد ماتت وقبرت وراح يزور قبرها يروي يه بالدموع. ثم يستيقظ من هذا التصور الآثم فزعاً نادماً ثائراً على نفسه فكَفَّر عن ذلك بالدعاء لها بطول العمر ثم بتقبيل وجهها بحنان» (صفحة ٨٤). ثم يقول: «طاردتني ذكرى هذه الخيالات كثيراً».

وهكذا تسيطر عليه الرغبة في موت أمه، و يلازمه الندم على تلك الرغبة. وحين تشفى من مرضها يلجأ الى معالجة ما يعانيه من إحباط بارتياد الحانات ومعاقرة الخمر وزيارة بؤر الفساد، الخ.

و بعد أن تحسنت أحواله المالية بعد موت أبيه وحصوله على نصيبه من التركة قرر كامل أن يتزوج دون أن ينتظر موافقة أمه أو يسألها رأيها كما كان يفعل في السابق. اكتفى بابلاغها و وضعها أمام الأمر الواقع. قال لها فجأة ودون مقدمات: «سأتوكل على الله وأتزوج»، فتقول أمه في لهوجة: «ستجدني راضية عنك ولو قتلتني.. وأية أم لا تفرح لزواج ابنها ولو كانت وحيدة ليس لها سواه...» (صفحة ١٣٢). وهذا جواب لا ينم عن الموافقة بقدر ما ينم عن استسلام حزين. إن اختيارها لكلمتي «ولو قتلتني» ينم عن أنها ــ في أعماقها ــ تعتبر زواجه قتلاً لها.

و بعد الزواج تقيم الأم في بيت واحد مع ولدها وعروسه، و يؤدي ذلك

الى قيام جو أسرى مشحون بالتوتر المؤلم. تتخذ الأم والزوجة كل من الأخرى موقفاً سلبياً . كل منهما تتهم الأخرى بأنها تكرهها. وتصبح حياة كامل معهما جحيماً حارقاً. فهو مع زوجه يعاني من العجز الجنسي الذى أورثه إياه عدم الثقة بنفسه، كما ابتلاه به إحساسه اللاشعوري بان زوجه ليست سوى صورة و بديل لأمه. وهو مع أمه يعاني الجفوة الجارحة والسلبية الممضة. يقول: «وكأن سوء الحظ لم يقنع بما رماني به في نفسي (مشيراً بذلك الى عجزه ومعاودته العادة السرية المرذولة وفقده ثقته بنفسه و بداية فقده لثقته بزوجته وخوفه من فقدان حبها)، فرماني بأمي أيضاً... وأمي على تأدبها لم تكن لتفلح في مداراة عواطفها، فان لم يخنها لسانها خانتها عيناها، وإن لم تخنها عيناها نمت عليها ما التزمت به من حال غريبة سلبية. انطوت على نفسها، وجعلت من حجرتها سجناً لا تكاد تغادره، وكأنما فرغت للعبادة والصلاة، ولم تخف على رباب هذه الجفوة الطويلة... فكانت لا تفتأ تقول لي : «لشد ما تكرهني أمك»، ولم تقبل أمي أن تغير سلوكها... وكنت إذا ذهبت للجلوس معها تلقتني برقة وابتسام، وحدثتني بخضوع واستسلام، فسرعان ما أشعر بغرابة الجو، و بأن حجاباً ثقيلاً يقوم بين نفسينا... وما أكاد أفاتحها بأن زوجي تضيق بتحفظها حتى تقول لي بحدة : «إن زوجك تكرهني، هذا كل ما هنالك.» وكنت أتجلد وأتصبر والألم يمضّ نفسي والكآبة تغشى روحي» (صفحة ٧٣).

كانت الأم تعاقب ولدها كامل بأكثر من وسيلة: السلبية والجفوة داخل البيت، ومغادرة البيت من حين لآخر بدعوى زيارة ابنتها راضية و بدعوى أن وجودها في بيت ولدها لا معنى له لأنه يضايقه، و بالوقوع في المرض بعد كل مشادة كلامية مما يجعله يندم ويحزن و يكفر عن ذنبه بمضاعفة إظهار الحب لها والسهر على راحتها. ولكن أهم ما في الأمر أن حياته الزوجية أصبحت حياة مسمومة بالخصام المتواصل والنكد المقيم. ولم يأته الخلاص من هذا الجحيم إلا بموت زوجته ميتة فضحت خيانتها له واقتلعت حبها من قلبه، وبموت أمه بعد ذلك مباشرة بعد أن قتلها هو بكلمات جارحة أمضى حداً وأعمق طعناً من السيف

الذى قتل بـه (أورست) أمه (كلايتمنسترا) . و يعاني كامل بعد ذلك ما عاناه (أورست) و (بول). يعيش فترة عصيبة قوامها المرض واتهام النفس والشعور بالذنب والتكفير عن ذلك بمعاقبة نفسه وتمنّي الموت. ولكن عنايات تنقذه في آخر الأمر وتضعه، كما يبدو، على أول الطريق نحو حياة سوية.

ثالثاً: زواج بلوتو (PLUTO) و بيرسيفون (PERSEPHONE):

وفي روايتي **أبناء وعشاق والسراب** أصداء من أسطورة زواج بيرسيفون (أمها ديميتر الهة الارض وربة الخصب وأبوها زيوس رئيس الآلهة) من بلوتو (ملك عالم الموت).[٢٠] كانت (بيرسيفون) الجميلة التى ترمز للربيع والخصب والرخاء تتنزه ذات يوم في البراري بين الأزهار والرياحين فرآها (بلوتو) وفُتِن بها فخطفها ونزل بها الى قصره فى العالم السفلي وتزوجها. وحين افتقدت الأم ابنتها وعلمت بما حل بها غضبت أشد الغضب وحزنت أعمق الحزن واعتزلت كل الآلهة ونزلت الى الأرض وعاشت في هيكل أقامه لها بنو البشر قرب مدينة أثينا. وبسبب حزن ديميتر خَيّم القحط على جميع أنحاء الأرض وكاد الحيوان والبشر والطير والشجر يهلكون جميعاً لولا أن تدخل زيوس ورتب الأمور بشكل يرضي جميع الأطراف. وبموجب هذا الترتيب تعود بيرسيفون الى ظهر الأرض لتعيش مع أمها ثمانية أشهر من كل عام (الربيع والصيف وأول شهرين من الخريف)، ثم تنزل بقية العام الى بطن الأرض لتعيش مع زوجها بين الأموات. وهكذا صارت الأرض ديميتر تلبس ثياب الحزن والحداد والقحط أربعة أشهر من كل عام، فاذا ماعادت اليها ابنتها لبست حللا جميلة وأشرق وجهها بالزهر والثمر والجمال والخير، وعم الفرح والسرور كل المخلوقات. لكنه ليس جمالاً صافياً ولا سروراً خالياً من الكدر، لأن ذكرى الموت المتربص تغلف الجمال بغلالة من الحزن وتوشح الأفراح والسرور بوشاح من القلق. إنها سعادة الحياة التى يعكرها أنها ليست دائمة، وتعاسة الموت التى يخفف وطأها الأمل بعودة الحياة.

ومضمون هذه الأسطورة يتلخص في أن الزواج في مجتمع الأسرة الأبوية يعني انتقال الفتاة من بيت أبويها الى بيت زوجها لكي تضع نفسها تحت تصرفه ورهن إشارته ولتكون بهجة وسكينة له في النهار والنور وفراشاً له في الليل والظلام. بكلمات أخرى، إنها تخسر دورها كابنة مدللة محبوبة و يفرض عليها دور جديد تقوم فيه باخضاع إرادتها لأرادة زوجها وإذا بة شخصيتها في شخصيته. وهذا التغير في حياتها إنما هو انحدار من أعلى لأسفل، من على ظهر الارض برياحينه وأزهاره ورياضه الى بطن الارض بما فيه من تحلل واضمحلال وفناء.

من ناحية أخرى فان هذا الزواج ليس، بالنسبة للزوجة، إلا الموت الذى ينجب الحياة. وهذا يقتضى قيام تغير جديد في حياة المرأة واضطلاعها بدور جديد هو دور الأم التى تصنع الحياة في رحمها وتصنع اللبن في صدرها لكي تتغذى عليه الحياة الجديدة. إن الأمومة هى المرحلة الثانية من هذا الموت الذى يبدأ بالزواج و ينتهى بالأمومة لكي تنبثق منه الحياة.

وإذا تأملنا رواية **أبناء وعشاق** أو رواية **السراب** وجدنا أن الجزء الأول منها يُمَسْرِح مضامين الزواج نفسها بالنسبة للانسة (جرترود كوبارد) وللانسة (زينب عبد الله حسن). كل منهما تنسلخ عن دنيا والديها فتصبح الأولى السيدة (جرترود موريل) وتصبح الثانية حَرَمَ رؤبة لاظ. والزواج بالنسبة لكل منهما كان انحداراً وخسراناً. فالسيدة موريل انحدرت في السلّم الاجتماعي من ابنة تجار ميسورين ومهندسين مثقفين الى زوجة عامل في المناجم، جاهل وفقير، وفَظّ وسكير، يقضى معظم نهاره في بطن الأرض في المناجم ولا يأتي زوجته إلا في ظلام الليل. كذلك فان حرم رؤبة بك لاظ تجد نفسها وقد خسرت ما كانت تنعم به من رقة وحنان وتدليل في بيت أبيها وابتليت بالامتهان والأذلال والضرب والاهمال على يدي زوج جاهل وعاطل وفاسق وسكير. كانت الحياة معه هى الموت بعينه.

لكن السيدة موريل سرعان ما تتحول من زوجة الى أم، وحينذاك تتمرد على

زوجها وتذله، وتهمله وتنساه، وتتفرغ لتنشئة الحياة الجديدة المتمثلة في أولادها، وكذلك تفعل حرم رؤبة بك لاظ، فهي لا تقيم في بيت زوجها إلا لتحمل منه، فاذا ولدت أعيدت اليه ليخصبها من جديد، فاذا ما أخصبها تركته، وهكذا الى أن أصبح لديها منه ثلاثة أطفال. وحينذاك تتخلص منه نهائياً بالطلاق والانفصال لكي تضطلع بدور الأم فقط، وتتحول من حرم رؤبة بك لاظ الى أم كامل.

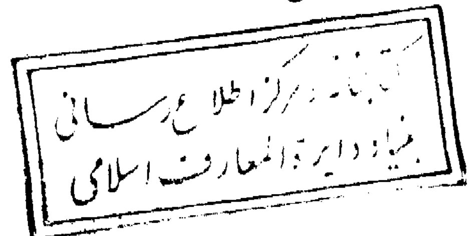
رابعاً: ميديا وطفلاها: [٢١]

ولكن طريقة قيام السيدة موريل أو أم كامل بدور الأمومة تتميز بشيء من الشذوذ وكثير من الانحراف. و يتمثل الشذوذ في إقامة علاقة من العشق العميق بينها و بين ولدها بحيث يتفانى هو في حبها ونيل رضاها كما تتفانى هى في حبه ومحاولة إسعاده. أما الانحراف فيتخذ شكل الرغبة الجامحة لدى الأم في السيطرة على ولدها وإحكام ملكيتها له بحيث يستحيل عليه أن يفلت من قبضتها و يتعذر على أية أمرأة أخرى أن تنتزعه منها، و بحيث تفضل هى ان ترى ولدها ميتاً على أن تراه محباً لامرأة أخرى ومحبوباً لديها، ولو كان في هذا الحب المتبادل سعادة ولدها وصلاح أمره. وحين يصل بها الأمر الى هذا الحد، فانها تكرر، بطريقة عصرية، ما فعلته الأميرة ميديا بطفليها.

وملخص قصة الأميرة ميديا هو أنها تقع في غرام الأمير (جيسون) الذي جاء بلادها سعياً وراء الفروة الذهبية (The Golden Fleece)، ولذلك تساعده بما لديها من علم وسحر في الحصول على تلك الفروة الذهبية والعودة بها الى بلاده. ولكي تضمن له السلامة والفوز تخون وطنها وتفشي له اسرار أبيها وتغدر بأخيها، ولهذا تضطر الى مغادرة بلادها مع حبيب قلبها فتفر معه الى بلاده حيث تحميه من أعدائه وتمكنه من استعادة عرش أبيه من المغتصب عمه. ومقابل هذه الخدمات والتضحيات كلها يتزوجها جيسون و ينجب منها طفلين. و بعد ان يتحقق

لجيسون ما كان يشتهيه من ملك وسلطان وشهرة وأمان يصاب بلوثة الكبرياء فيطمح الى توسيع ملكه عن طريق الزواج من الابنة الوحيدة لملك كورنث، و يتناسى واجبات الوفاء والاخلاص والعرفان لزوجته ميديا. وتغضب ميديا، وتعاتبه، وتمنّ عليه بما قدمت من تضحيات، وتذكره بما سيكون عليه حالها إذا تخلى عنها من ضعف وشماتةٍ وهوان. فيواجهها بالجحود والنكران و يزعم أنه منحها أكثر مما أخذ منها. وإزاء حِدّة طبعها وفعالية سحرها وحدة ذكائها وسعة حيلتها يخاف ملك كورنث على ابنته منها فيقرر طردها مع طفليها من البلاد، و يتعهد زوجها الغادر أن يزودها بما تحتاج اليه من مال وزاد. وحين تيأس من الاحتفاظ بزوجها ورده الى الصواب تقرر الانتقام منه قبل أن تُنْفَى و يفوت الأوان، فتهدي عروسه ثياباً ثمينة مسمومة تقتلها في الحال، ثم تقتل طفليها منه بيديها نكاية بأبيهما، ولتنقذهما ــ كما تزعم ــ من العيش كالايتام بين الغرباء اللئام.

ان ما تفعله السيدة موريل بولدها البكر (وليم) الذى يموت متأثراً بآلام التمزق بين سلطان أمه عليه ورغبته في التحرر من سيطرتها، وما تفعله بولدها (بول) الذى تحبسه في قمقم محبتها وتمنعه من ممارسة حريته في حب من يشاء، وما تفعله أم كامل مع ولدها كامل، لا يختلف في جوهره عما تفعله ميديا بطفليها. كل من هؤلاء الأمهات تتصرف بأنانية بالغة متنكرة في زي التضحية. و يعبر كامل عن مثل هذا الرأي في أكثر من موقف فيقول (في صفحة ٧٥) أن أمه تعدّ سعادته بامرأة غيرها «كفراً لا يغتفر». و يقول: «ربما كان الضرر يقع بي أخف لديها من كشف حبي». و يقول (فى صفحة ٨٣) «أنها ذكرت نفسها أكثر مما ينبغي ونسيتني أكثر مما ينبغي .. فرميتها بالأنانية». كذلك يعبر د. هـ. لورنس عن موقف مماثل للسيدة موريل، وملخصه أنها تود لو يموت ابنها (بول) معها. يقول : «وأحياناً كان (بول) وأمه ينظران كل في عيني الآخر، وحينذاك كان يبدو وكأنهما يعقدان اتفاقاً، وأن (بول) يوافق بموجب هذا الا تفاق أن يموت هو أيضاً» (ص ٤٧٧).



(٣)

اصداء اخرى

تتميز رواية **أبناء وعشاق** بثروة كبيرة من الاشارات الى قصص ومواقف وشخصيات أخرى من التراث الأدبي اليوناني والانجليزي ومن التراث الديني المسيحي.

من هذه الاشارات، على سبيل المثال، قصة الثلاثي المؤلف من (كلارا) وزوجها الحداد (باكستر دوز) وعشيقها (بول). تذكرنا هذه القصة بأسطورة (افروديت) ربة الجمال، وزوجها (هيفا يستوس) ابن زيوس وحداد الآلهة الأعرج، وعشيقها (آرس) اله الحرب. وملخص هذه الأسطورة أن (افروديت) عشقت (آرس) ومارست معه الجنس فترصدهما زوجها حتى أوقعهما في شبكة من شباكه وهما متلبسان بجريمة الزنا وجعلهما اضحوكه للالهة. (٢٢)

كذلك يشير (بول) الى (كلارا) بأنها (بنيلوبي) جديدة. وقد أشرنا من قبل الى إحدى الصفات التى اشتهرت بها (بنيلوبي)، وهى الوفاء لزوجها رغم غيابه عنها عشرين سنة. وليست هذه هى الصفة التي يقصدها (بول). إنه يقصد (بنيلوبي) التي رفضت، بالحيلة والدهاء، كل الأمراء والشباب الذين توافدوا الى قصرها حين أشيع أن زوجها (عوليس) قد مات، وراحوا يخطبون ودها و يلحون عليها أن تختار واحداً منهم زوجاً لها. وادعت أنها ستفعل ذلك، لكنها طلبت منهم أن يمهلوها حتى تتم حياكة بساط كانت قد بدأته. ولبوا طلبها ظناً منهم أن الأمر لن يستغرق وقتاً طويلا. ولكنها كانت تفك في الليل ما تحيكه في النهار، واستمرت تفعل ذلك حتى عاد زوجها وقضى على جميع الطامعين فيها. وجه الشبه هنا هو أن (كلارا) أيضاً كانت تعمل في النسيج والحياكة بعد أن خانها زوجها فهجرته وانفصلت عنه. كانت (كلارا) قد انضمت الى إحدى الحركات النسائية التى تطالب بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل. وقد انكبت على عملها بصبر وأناة لتكسب قوتها وتستقل اقتصادياً ولتدفع عن نفسها طمع الطامعين من الرجال.

ومرة ثالثة يُشَبّه (بول) (كلارا) بملكة سبأ التى يرد ذكرها في التوراة فى قصة تجمع بينها وبين الملك سليمان.

و يشير دانيال و يس (Daniel A. Weiss) الى أن لورنس يعالج (كلارا) وكأنها مريم المجدلانية التى عابت ثم تابت والتى ترد قصة خطيئتها وتوبتها على يد السيد المسيح في الانجيل (Farr, 1970 : 34 - 40).

أما السيدة (جرتورد موريل) فيذكرنا اسمها الأول بالملكة (جرترود) في مسرحية **هاملت** الشهيرة. كذلك فان مريم حبيبة (بول) هي سمية مريم العذراء أم السيد المسيح، وتذكرنا طريقة معالجة لورنس لمريم هذه بمريم العذراء و بالمعاني والمضامين الفكرية والأخلاقية التي ينطوي عليها اسمها.

واذا كانت رواية **أبناء وعشاق** تعكس بشكل ثري وعميق التراث اليوناني ــ الانجليزي ــ المسيحي الذى أنجب لورنس، فان رواية **السراب** تعكس تراثاً متميزاً آخر هو التراث المصري العربي الاسلامي. ومن الأسماء التى تعكس تراثاً إسلامياً اسم زينب التى تواظب على زيارة مقام السيدة زينب. أما اسم رؤبة لاظ فيردد صدى الحكم العثماني و يرمز الى العرق التركي الذى ذاب في شعب مصر. والأميرالاى عبد الله بك حسن واللواء على باشا سلام زوج عنايات يذكراننا بالمؤسسة العكسرية في مصر وما تمنحه للرؤساء العاملين فيها من امتيازات طبقية. وكامل اسم ساخريطلق على إنسان ليس فيه من الكمال شيء يُذْكَر. كذلك فان الاحداث في السراب تتم بطرق وأساليب يتميز بها مجتمع غافل متخلف يفهم الأسلام فهماً متخلفا ويمارس القيم والافكار بأساليب تقليدية خاطئة. فأساليب الزواج والطلاق في هذه الرواية تتميز بشكل واضح من أساليب الزواج والطلاق في مجتمعات أخرى. وتلاوة القرآن في المذياع، وأثر الآيات القرآنية على عواطف الناس وتصرفاتهم هما جزء لا يتجزأ من حياة المسلمين في مصر. كذلك فان اللجوء الى الدجالين والمشعوذين لحل المشاكل المستعصية،

كمشكلة نجاح كامل في الدراسة مثلا، أمر لا تجد له مثيلا إلا في المجتمعات الجاهلة المتخلفة. يقول كامل:

كانت أمي من ناحيتها تزور أم هاشم وتنذر النذور، وتشد حول عنقي التعاويذ ولا أنسى مرة — وكنت قريباً من امتحان الكفاءة — جاءتني بامرأة ممن يقرأن الغيب مستعيذة بقدرتها على إنجاحي، فحرقت المرأة بين يدي البخور، وركزت في المدفأة عصا قصيرة وأمرتني أن أقفز فوقها ثلاث مرات، وفعلت ما أمرت به فقالت لي بيقين: ستنجح باذن الرحمن ولما سقطت في الامتحان قلت لأمي متعجباً: «كيف أسقط وقد قفزت المرات الثلاث؟» (ص ٥٨).

كذلك فان زيارة القبور والأضرحة والتوسل بالصالحين والأولياء للشفاء من أمراض خبيثة أو من عادات سيئة أمور كانت لا تزال مألوفة في مصر أثناء العهد الذي تعكسه **السراب** (مثلا صفحة ٩٢، ١٩٢، وفي غيرها).

* * * *

بهذا ينتهي هذا البحث الذى أوضح ان **أبناء وعشاق** و**السراب** تلتقيان في المضمون وتعالجان مواضيع متشابهة أهمها مضار الزواج غير المتكافيء على بناء الاسرة وتطورها في المجتمع الأبوي. وتتمثل هذه المضار في قيام الاختلاف بدل الائتلاف بين الزوجين، وتمزّق الاسرة الى معسكرين متعادين: معسكر الأم ومعسكر الأب، ووقوف الأبناء بجانب أمهم ضد أبيهم، ونشوء العقدة الأوديبية عند بعضهم في مرحلة الطفولة. كما تعرض هذا البحث لمرحلة المراهقة لدى الأبناء وما قد يقوم فيها من صراعات في معسكر الأم وما قد ينجم عن ذلك من نشوء العقدة الأورستية لدى الأبناء ونشوء عقدة (ميديا) لدى الأمهات.

وسندرس في بحث لاحق التكنيك الروائي في كل من الروايتين، ونأمل أن نبين مظاهر الاتفاق أو الاختلاف في الأساليب الفنية التي يلجأ اليها د.هـ لورنس ونجيب محفوظ لمعالجة مواضيع واحدة.

الهوامش

١ ــ كل النصوص الخاصة بهذه الرواية والتي نستشهد بها في هذه الدراسة مأخوذة من الطبعة الانجليزية التالية:

(D.H Lawerence, Sons and Lovers (London, Penguin Books, 1977)

٢ ــ النصوص التي نستشهد بها مأخوذة من الطبعة التالية:
نجيب محفوظ، **السراب** (بيروت، دار القلم، ١٩٧٧)

٣ ــ قصص السيرة وقصص السيرة الذاتية الموجودة في الأدب الانجليزي تسمى أحياناً «روايات النشأة والتربية» (Novels of Formation and education) ومن أشهر الأمثلة عليها القصة التي ترويها قصيدة (وليم و يرد زو يرث) المشهورة بعنوان **The Prelude**، وقد بدأ كتابتها عام ١٧٩٨، وأنهاها عام ١٨٠٥ ولكنها لم تنشر إلا بعد وفاته في عام ١٨٥٠. ومنها رواية جورج ميريدث (George Meredith) بعنوان **محنة ريتشارد فيفريل Ordeal of Richard Feverel** عام ١٨٥٩، ورواية صمو يل بطلر بعنوان **طريق كل البشر(The Way Of All Flesh** ونشرت بعد وفاة المؤلف بعام واحد، سنة ١٩٠٣، ومنها رواية لسومرست موم Somerset Maugham بعنوان **الرق البشري Of Human Bondage** (عام ١٩١٥)، ورواية جيمس جو يس بعنوان **صورة للفنان في شبابه** (١٩١٦). ويمكننا أن نعتبر **الأ يام وأديب** ، وكلاهما لطه حسين، من هذا النوع من القصص (انظر كتاب الدكتور محمد حسن عبد الله، ١٩٧١، ص ١٧٩ ــ ١٨٠).

٤ ــ ينبغي عدم الخلط بين **قصص السيرة وكتب السيرة**، فالأولى فنية بحتة والثانية تاريخية صرف. وفي حين يتمتع مؤلف قصة السيرة بحرية اطلاق العنان لخياله ليخلق ما يشاء مما يتفق مع الطبيعة الفنية للقصة، فان مؤلف كتاب السيرة مضطر للالتزام بأمانة بالوثائق التاريخية التي يستقي منها مادته.

٥ ــ لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر (Draper, 1976) وخصوصاً المقدمة (ص ١٧ ــ ٢٩)، وبحث المؤلف (Draper) لرواية **ابناء وعشاق** (ص ٣٧ ــ ٥٣). كذلك انظر: (Farr , 1970:3) و(Chambers 1935) وفيه تشرح جيسي تشيمبرز (صديقة لورنس في مراهقته وأوائل شبابه) مقدار الحقيقة والخيال في رواية **أبناء وعشاق** التي يعطيها لورنس فيها دور مريم. كذلك أنظر (Moore , 1976 : 24 , 27 , 30 , 32 , 55 , 62 , 64 , 72 , etc)

٦ ــ لقد رجعنا الى معظم ما كتب عن حياة نجيب محفوظ وعن رواياته وعن رواية **السراب** بالذات، ولم نجد إشارة واحدة الى أن في **السراب** شيئاً خاصاً عن حياة مؤلفها.
(أنظر بشكل خاص كتاب د. سلام، ١٩٧٣: ٢٥٧ ــ ٢٧١، وكذلك كتاب د. ياغي، ١٩٧٢: ٨١ ــ ١٣١).

٧ ـــ وردت هذه المقولة في قصيدة «The Rainbow» عام ١٨٠٢، ثم جعلها (و يرد زو يرث) تمهيداً وافتتاحية لقصيدته المشهورة (**The Prelude**).

٨ ـــ لمزيد من التفاصيل عن هذه الاساطير الميثولوجية أنظر (Hamilton, 1961: 24.46) وكـــــــذلك (Kramer, 1961; 216 - 276).

٩ ـــ انظر نص مسرحية ميديا في (Robinson Jr. (ed) 1961 : 141-181) وكذلك انظر قصة «الفروة الذهبية» في (Hamilton, 1961 : 117 - 130).

١٠ ـــ انظر مقالة جورج فورد بعنوان «The S Curve: Persephone to Pluto» في كتاب (Farr, 1970: 70).

١١ ـــ انظر القصة في (Kramer, 1961 : 242 . 243) وفي (Hamilton, 1961 : 236-261). إما نص المسرحية فموجود في ثلاثة نصوص اثنان بالانجليزية وثالث بالعربية. أنظر فهرس المصادر تحت Sophocles وسوفوكل).

١٢ ـــ انظر قصة أورست مع أمه ضمن قصة أسرة أتريوس في (Hamilton, 1961 : 236 . 253) وعلى الأخص الصفحات ٢٤٠ ـــ ٢٤٨، وفي (Kramer 1961: 240-242). كذلك انظر القصة في (Aeschylus, 1971) المقدمة (ص ٩ ـــ ٣٧) وفي نصوص المسرحيات الثلاثة: **أغاممنون، وحملة القرابين، وربات الغضب والانتقام** وانظر فهرس المصادر تحت Aeschylus، وتحت (Robinson Jr. ، 1960) و (Robinson Jr. 1961)

١٣ ـــ يرى سبلكا (Spilka) أن السيدة موريل ليست وحدها المسؤولة عن انهيار زوجها معنوياً وتهدمه جسدياً. فالزوج (والتر) مسؤول أيضاً. شأنه شأن كل الأزواج الفاشلين في روايات لورنس. فلولا ضعف إرادتهم وعدم تماسك شخصياتهم لوضعوا حداً لتسلط زوجاتهم (Farr, 1970: 70). أما دكتور طه محمود طه فيرى أن لورنس كان «حساساً جداً ... لأى تسلط من جانب المرأة على الرجل..... وكان لورنس ينظر الى تسلط المرأة على الرجل، سواء كان ذلك عن طريق الحب أو الحنان، على أنه الخطيئة الأولى ضد القانون الطبيعي، وجعله هذا الاعتقاد ينظر الى جهود المرأة في الحصول على المساواة بالرجل وكأنها مسؤولة عن كل شقاء وتعاسة نجدها في العالم .... وفيما بعد أخذ يرى نفسه في صورة والده في صراعه مع أمه». (طه، ١٩٦٦: ١٨٨ ـــ ١٨٩). وحين يتحدث د. طه عن انهيار الزوج في **ابناء وعشاق** (طه، ١٩٦٦، ١٩٢ ـــ ١٩٣) يبدو أنه يحمل السيدة موريل معظم المسؤولية في ذلك الانهيار.

١٤ ـــ لاحظ وصية الأم لولدها كامل وهو يهم بالذهاب مع جده (والد أمه) لمقابلة أبيه لأول مره في حياته. تقول له: «قابله إذا قابلته بأدب فهو أبوك على أى حال، ولكن لا تنس فيما بينك و بين نفسك أنه هو الذى عذبنا جميعاً» (**السراب**، صفحة ٤٧).

١٥ ـــ «ديمترى» هو الابن الاكبر لـ (فيودور كارامازوف) في رواية دوستو يفسكي المشهورة، **الاخوة كارامازوف**. يُتَّهم «ديمترى» بقتل أبيه ويحاكم على هذا الاساس، وقد قام الدكتور عز الدين اسماعيل بتحليل الرواية في كتابه **التفسير النفسي للأدب** (صفحات ٢١٢ ـــ ٢٤٩)،

وخصص قسماً كبيراً من دراسته التحليلية (٢٢٣ ــ ٢٣٧) لدراسة شخصية «ديمتري» دراسة نفسية وتحليلية.

١٦ ــ هاملت، كما هو معروف، بطل مسرحية شكسبير بعنوان **هاملت**. هاملت ايضاً، مثل أورست، يقتل أمه وزوجها الثاني. كما أنه، مثل أورست، يلعب دور الابن الذي يتمزق بين حبه لامه وواجب الانتقام لأبيه، مما جعله يتردد ويماطل في الانتقام. و يشترك «أورست» و «هاملت» و «ديمتري» في جريمة قتل احد الوالدين (Patricide) . ويحاول الدكتور عز الدين اسماعيل ان يوضح العقدة الأورستية في سلوك هاملت (اسماعيل، ١٩٦٣: ١٣٠ ــ ١٦٣) أولا، ثم في سلوك ديمتري، ثم في سلوك كامل بطل **السراب** الذي قام هو الآخر، حسب اتهامه لنفسه، بقتل أمه (اسماعيل، ١٩٦٣: ٢٥٠ ــ ٢٧١).

١٧ ــ انظر قصة (بنيلوبي) ووفائها لزوجها طيلة عشرين سنة من غيابه، وهذه القصة جزء أساسي من قصة الملحمة المشهورة المنسوبة الى هوميروس، وهي الأوديسّة . كذلك يمكن الاطلاع على قصة (بنيلوبي) في (Hamilton, 1961: 202 - 219).

١٨ ــ انظر شرح الدكتور طه محمود طه لموقف لورانس من تسلط المرأة على أسرتها واغتصابها لحق رئاسة الاسرة من الأب (طه، ١٩٦٦: ١٨٨ ــ ١٨٩).

١٩ ــ أمازونية نسبة الى النساء الأمازونيات، وهن نساء محاربات كارهات للرجال. وتروي الاساطير انهن كن يعشن في القوقاس، و يؤلفن أمه من النساء الجميلات رغم كونهن محاربات. وفي الحروب الطروادية حاربن الى جانب الطرواديين ضد اليونانيين. وتروى إحدى القصص أن (أخيل) قتل ملكتهن و بكى بعد ذلك على شبابها وجمالها. انظر (Hamilton, 1961: 287).

٢٠ ــ بالنسبة لأصداء هذه الأسطورة في رواية **أبناء وعشاق** انظر مقالة George H. Ford, «The S Curve: Persephone to Pluto»

وهذه المقالة موجودة في (Ford, 1965: 28 - 44)وفي (Farr, 1970: 64.73). أما بالنسبة **للسراب** فهذه أول مرة فيما أعلم ينظر اليها فيها على ضوء هذه الاسطورة.

٢١ ــ لمزيد من المعلومات عن تفاصيل قصة الأميرة ميديا وزوجها وطفليها انظر قصة «البحث عن الفروة الذهبية» «The Quest for the Golden Fleece» في (Hamilton, 1961: 117-130) وفي (Inness, 1955: 168-193). كذلك انظر مسرحية «ميديا» للكاتب يوريبديس (Euripides) في (Robinson Jr., 1961: 141 - 181).

٢٢ ــ لمزيد من التفاصيل انظر (Hamilton, 1961: 34). و بالنسبة للمطابقة بين اسطورة الثلاثي (افروديت ــ هيفايستس ــ آرس) وقصة الثلاثي (كلارا ــ باكستر دوز ــ بول موريل) انظر (Farr, 1970: 21).

المصادر

Lawrence, D.H. **Sons and Lovers.** London :Penguin book, 1977.
(First published 191)

محفوظ، نجيب. **السراب** . بيروت : دار القلم، ١٩٧٧ (نشرت أول مرة عام ١٩٤٨)

المراجع العربية

اسماعيل، دكتور عز الدين. **التفسير النفسي للأدب.** سلسلة علم النفس والحياة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣.

حسين، طه. **من الادب التمثيلي اليوناني: سوفوكليس.** القاهرة: دار المعارف، (١٩٣٩).

الراعي، دكتور علي. **دراسات في الرواية المصرية.** القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، ١٩٦٤.

راغب، نبيل. **قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ: دراسة تحليلية لاصولها الفكرية والجمالية** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

سلام، د. محمد زغلول. **دراسات في القصة العربية الحديثة: أصولها، اتجاهاتها، أعلامها.** الاسكندرية: منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه، ١٩٧٣.

سمعان، دكتور انجيل بطرس. «الرواية الانجليزية المترجمة الى العربية». الكويت: **عالم الفكر** العدد الثالث، ١٩٨٠ صفحات ٤١ ـــ ٨٤.

سوفوكل. **أوديب الملك.** (ترجمة وتقديم د. علي حافظ). الكويت: **سلسلة من المسرح العالمي.** العدد ٣٥/٣، ١٩٧٢.

الشاروني، يوسف. **دراسات في الرواية والقصة القصيرة.** القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٦٧.

شكري، غالي. **المنتمي: دراسة في أدب نجيب محفوظ.** مكتبة الدراسات الادبية رقم ٥١، الطبعة الثانية. القاهرة : دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.

«معنى الجنس في أدب نجيب محفوظ»، **الكاتب،** يناير، ١٩٦٣.

طـه، دكتور طه محمود. **دراسات لاعلام القصة في الادب الانجليزي الحديث.** القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦٦.

عبد الله، دكتور محمد حسن. **الواقعية في الرواية العربية.** القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧١.

الاسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ. الكويت: مكتبة الامل، ١٩٧٢.

الحب في التراث العربي. الكويت: **عالم المعرفة** رقم ٣٦، ديسمبر ١٩٨٠.

فرج، نجية. «محاولة نقدية لقصة السراب»، **الأدب،** نوفمبر، ١٩٦٠.

الموافي، دكتور محمد اسماعيل . «الطروبادور والحب الرفيع»، **عالم الفكر** العدد الثالث، ١٩٨٠، صفحات ١٠١ ــ ١٤٠، الكويت .

نجـم، دكتور محمد يوسف. **فن القصة .** الطبعة السادسة . بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٤.

نوفل، دكتور يوسف. **قضايا الفن القصصي: المذاهب، اللغة، النماذج البشرية.** القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٧٧.

وادي ، دكتور طه. **صورة المرأة العربية في الرواية المعاصرة.** القاهرة : مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٧٣.

ياغي، دكتور عبد الرحمن. **الجهود الروائية من سليم البستاني الى نجيب محفوظ .** بيروت : دار العودة ، ١٩٧٢.

ENGLISH REFERENCES

Aeschylus. **The Orestian Trilogy: Agamemnon, The Choephori, The Eumenides.** Translated by Philip Vellacott. Penguin Classics, 1971.

Andrews, W.T. **Critics on D. H. Lawrence,** London: George Allen and Unwin Ltd., 1976. (First published, 1971).

Chambers, Jessie. **D. H. Lawrence, A Personal Record.** London: Jonathan Cape Ltd., 1935.

Drapers, Ronald P. **D. H. Lawrence.** London: The Macmillan Press Ltd., 1976.

Euripides. **Media.** (tr. by R.C. Trevelyan), in (Robinson, Jr., 1961; 141-181).

Farr, Judith, (ed.). **Twentieth Century Interpretations of Sons and Lovers: A Collection of Critical Essays.** N.J., Englewood Cliffs, Prentice Hall Inc., 1970.

Ford, George H. **A Study of the Novels and Stories of D. H. Lawrence.** New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965.

"The 'S' Curve: Persephone to Pluto", in (Ford, 1965: 28-44) and in (FArr, 1970: 64-73).

Hamilton, Edith. **Timeless Tales of Gods and Heroes.** New York: Meuton Books, 1961 (first published, 1940).

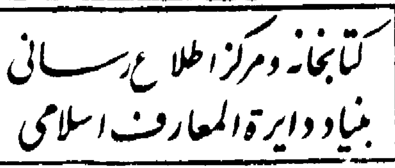
Inness, Mary M. (translator). **The Metamorphoses of Ovid.** Penguin Classics, 1955.

Kramer, Samuel Noa. **Mythologies of the Ancient World.** New York: Anchor Books, 1961.

Moore, Harry H. **The Priest of Love: A Life of D. H. Lawrence.** London: Penguin Books, 1976 (first published, 1974).

Niven, Alastair. **D. H. Lawrence: The Novels,** London: Cambridge University Press, 1978.

Ovid. **Metamorphoses of Ovid** (translated by Mary M. Inness). Penguin Classics, 1955.



Robinson Jr., C.A. (ed.). **An Anthology of Greek Drama** (First Series) New York: Holt, Rinehart and Winston, 1961.

An Anthology of Greek Drama (Second Serries). New York: Holt, Rinehart and Winston, 1960.

Sasson, Somekh. **The Changing Rhythm: A Study of Najib Mahufz's Novels,** Netherlands, Leiden: E.J. Brill, 1973.

Shakespeare William. **Hamlet.**

King Lear.

Sophocles. **Oedipus the King** (translated by David Grene), in (Robinson Jr., 1961: 51-100)

Sophocles. **The Theban Plays: King Oedipus, Oedipus At Colonus, Antigone** (tr. by E.F. Walting). London: Penguin Classics, 1970.

Spilka, Mark. **The Love Ethic of D.H. Lawrence.** London: Dennis Dobson, 1965.

"Counterfeit Loves" in (Spilka, 1965: 60-89) and in (Farr, 1970: 51-63).

Weiss, Daniel A. **Oedipus in Nottingham: D.H. Lawrence.** Seattle: University of Washington Press, 1962.

"The Mother in the Mind" in (Weiss, 1962: 39-68) and in (Farr, 1970: 28-41).



LAWRENCE AND MAHFUZ :
A COMPARATIVE LITERARY AND PSYCHOLOGICAL STUDY

by:
Mohammad Raja A.R. Al-Direeni
Department of English
Kuwait University

ABSTRACT

This paper points out that **Sons And Lovers** (1913) and **Al-Sarab** (1948) dramatise the same topics and themes such as the disastrous effects of an unequal marriage on the husband and wife, and on the structure of the family in patriarchal societies. Such unequal marriages lead to permanent strife between husband and wife, and to the division of the family into two opposed camps: the father's camp and that of the mother. The children stand by their mother against their father. Some children develop the Oedipus complex. The mother dominates the children and becomes their adored idol and beloved tyrant.

It is also shown that both novels portray the strife between mother and son when the son becomes an adolescent and a young man, and the development of the Orestian complex in the son and of the Medea complex in the mother.

The paper describes the echoes in both novels of some Greek legends and myths, especially the story of King Oedipus, the story of Orestes and his mother Clytemnestra, the story of Medea, and the myth of Pluto and Persephone. The paper explains the symbolic meanings and implications of such stories, and points out the significance of such stories to psychology and to art - particularly novel writing. Then it traces the echoes of these Greek stories in both **Sons And Lovers** and **Al-Sarab.**

THE AUTHOR

Dr. Mohamad Raja Al-Direeni

- ★ PH. D. in English Literature, 1977.
- ★ Lecturer on the English Novel and Utopian Fiction.

PUBLICATIONS

- ★ Short Stories (in Arabic)
- ★ A Novel in Arabic, ALIA (1965)
- ★ Four Plays translated into Arabic including:
  - Arthur Miller's, **The Misfits,** (1980)
  - Moss Hartisand George Koffman's, **You Can't take it with you** (1981)
- ★ A translation into Arabic of Karl Monnheim's **Ideology and Utopia** (1980)

THIRTEENTH MONOGRAPH

(LITERATURE)

LAWRENCE AND MAHFUZ:

A COMPARATIVE LITERARY AND PSYCHOLOGICAL STUDY

Dr. MOHAMAD RAJA AL-DIREENI

Department of English Language and Literature
Kuwait University